

المرأة التي تذكُرُها الجميع خطأ

بَعْضُ الذِّكْرِيَّاتِ لَا تَعُودُ لَتُخْبِرُنَا مِنْ كُنَّا...
بَلْ لَتَكْشِفَ لَنَا لِمَاذَا تَغَيَّرْنَا.

الكاتبة
شهد هيثم الشقوف

نحو
NAWO

المرأة التي تذكرها الجميع خطأ
لم أكن أعرف أن أسوأ أنواع الضياع ليس أن تفقد الطريق... بل أن تفقد
الشخص الذي كان يسير فيه.
استيقظت ذات صباح وأنا أحمل اسمًا لا أشعر أنه لي.
قالوا إنني ليان.
قالوا إن هذا وجهي، وهذا صوتي، وهذه حياتي التي عشتها قبل أن يُسرق
منها جزء لا أستطيع الوصول إليه.
ابتسموا جميعًا عندما فتحت عيني، وكأن عودتي كانت معجزة انتظروها
طويلاً... لكنني كنت الوحيدة التي شعرت بأنني لم أعد.
كانوا ينظرون إليّ وكأنهم يرون شخصًا يعرفونه جيدًا، بينما كنت أنظر
إليهم وكأنني ألتقي بهم للمرة الأولى.
أمي بكت وهي تمسك يدي وقالت: "الحمد لله أنك عدت إلينا."
لم أفهم وقتها لماذا شعرت بالخوف من كلمة "عدت".
إلى أين ذهبت؟
ومن كانت تلك التي عادت بدلاً مني؟
في الأيام الأولى، حاولت أن أتعرف على نفسي من خلال عيون الآخرين.
قالوا إنني كنت قوية. قالوا إنني كنت عنيدة. قالوا إنني كنت أخفى أكثر
مما أظهر.

لكن كل شخص كان يحكي عن امرأة مختلفة.
امرأة لا أعرفها.
امرأة تحمل اسمي... وتعيش حياتي... ويبدو أن الجميع أحبها أو خاف
منها، إلا أنا.
ولم أكن أعرف أن أكبر سرّ سأكتشفه يوماً...
لن يكون عنهم.
بل عني.

قبل أن تبدأ الحكاية
بعض الحكايات لا تبدأ حين يحدث شيء...
بل حين نشعر أن شيئاً في داخلنا لم يعد كما كان.
هذه ليست حكاية فتاة فقدت ذاكرتها فقط، ولا
حكاية أسرار حاول الجميع إخفاءها عنها.
إنها حكاية سؤال واحد:
ماذا لو اكتشفت يوماً أن أكثر شخص كنت تبحث
عنه... هو أنت؟
اقرأ بهدوء.
فبعض الإجابات لا تظهر في أول الصفحات،

وبعض الأبواب لا تفتح إلا عندما نتوقف عن
الخوف مما خلفها.
وربما...
حين تصل إلى النهاية،
لن تسأل: ماذا حدث لليان؟
بل ستسأل نفسك:
كم جزءاً مني تركته خلفي وأنا أظن أنني أمضي؟
— شهد هيثم الشقوف

الفصل الأول

البيت الذي عرفني ولم أعرفه

لم يكن أصعب شيء أن أفتح عيني ولا أتذكر شيئاً، بل أن أجد الجميع ينظرون إليّ وكأنهم استعادوا شخصاً فقدوه منذ زمن، بينما كنت أنا أقف بينهم غريبة تحمل اسمي فقط.

منذ اللحظة الأولى التي فتحت فيها عيني في المستشفى، كان هناك شيء واحد واضح بالنسبة لي: الجميع يعرفونني... إلا أنا. كانت أمي تجلس بجانبني، تمسك يدي بقوة وكأنها تخشى أن أختفي مرة أخرى إن تركتني للحظة. كانت تبتسم رغم التعب الواضح في عينيها، وكأن مجرد رؤيتي مستيقظة كان كافياً لجعلها تنسى كل شيء. قالت بصوت مرتجف: "أخيراً عدت يا ليان." عدت.

توقفت الكلمة في رأسي طويلاً. لم أفهم لماذا شعرت بالخوف منها بدل الراحة. لم أعرف إلى أين أين عدت، ولا من التي كانت موجودة قبلي. خرجت من المستشفى وأنا أحاول أن أتعلم العالم من جديد. الوجوه حولي كانت مألوفة بطريقة غريبة، كأنني

رأيتها آلاف المرات في حياة لا أستطيع الوصول إليها.
في طريقنا إلى المنزل، كانت أُمي تخبرني عن أشياء صغيرة. عن الزهور
التي كنت أحبها، عن الأماكن التي كنت أذهب إليها، عن العادات التي كانت
تضحك منها.
كنت أستمع إليها وأحاول أن أرسم صورة عن نفسي من كلماتها.
لكن الصورة لم تكتمل.
لأنني كلما عرفت شيئاً عن ليان القديمة، شعرت أنني أتعرف على شخص
آخر.
عندما توقفت السيارة أمام المنزل، بقيت أنظر إليه من النافذة.
كان منزلاً جميلاً، هادئاً، يحمل شعوراً بالدفء.
لكنني لم أشعر أنه منزلي.
شعرت فقط أنه مكان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي.
فتحت أُمي الباب ودخلت قبلي، ثم التفتت إليّ بابتسامة حزينة وقالت: "
كل شيء كما تركته."
كما تركته؟
دخلت ببطء.
الأثاث، الصور، الكتب، التفاصيل الصغيرة المنتشرة في كل زاوية... كل
شيء كان يحمل آثار امرأة أعرف اسمها فقط.

اقتربت من صورة معلقة على الحائط.
كانت فتاة تضحك.
فتاة تشبهني.
لكنها لم تكن تشبهني تمامًا.
كان في عينيها شيء فقدته أنا.
ثقة.
راحة.
شيء جعلني أتساءل: من كانت هذه الفتاة؟
قالت أمي وهي تقف خلفي: "كنت تحبين هذه الصورة كثيرًا."
ابتسمت قليلاً وقلت: "واضح أنني كنت أعرف أشياء عن نفسي أكثر مني الآن."
ضحكت أمي ضحكة قصيرة، لكنها توقفت بسرعة.
رأيت التغيير في وجهها.
كأن جملتي لم تكن مجرد مزحة بالنسبة لها.
وكأنها تذكرت شيئاً لم ترغب في تذكره.
في تلك اللحظة أدركت شيئاً.
الناس لا يخفون الكلمات فقط...
أحياناً يخفون الصمت.
في المساء، دخلت غرفتي وأغلقت الباب خلفي.
وقفت في المنتصف أتأمل المكان.

كانت غرفتي جميلة، مرتبة، ومليئة بأشياء يفترض أن تجعلني أشعر بالانتماء.
لكنني شعرت بالعكس تمامًا.
كانت غرفة فتاة أعرف اسمها... ولا أعرف قلبها.
فتحت الخزانة.
وجدت ملابس كثيرة لا تشبه ذوقي الحالي. ألوان، فساتين، أشياء اختارتها امرأة كنت أنا في يوم من الأيام.
أخرجت قميصًا أسود وابتسمت.
"على الأقل هذا يشبهني."
ثم توقفت.
كيف عرفت أنه يشبهني؟
أعدته مكانه بسرعة.
بدأت أبحث بين أشياءي دون سبب واضح، وكأن جزءًا صغيرًا مني كان يعرف أن هناك شيئًا مخبأً وينتظر أن أجده.
وبين مجموعة من الكتب القديمة، سقط دفتر صغير.
كان غلافه بسيطًا، بلا اسم ولا علامة.
لكن يدي توقفت فوقه للحظات.
شعرت بإحساس غريب.
إحساس أنني رأيته من قبل.
فتحت.

كانت الصفحة الأولى فارغة.
والثانية أيضاً.
حتى وصلت إلى الصفحة التي جعلت أنفاسي تتوقف.
كانت هناك جملة واحدة فقط.
بخط يدي.
عرفت ذلك فوراً.
رغم أنني لا أتذكر أنني كتبتها.
كان مكتوباً:
"إذا كنتَ تقرأين هذا... فهذا يعني أنني نجحتُ في جعلك تنسين."
بقيت أحرق في الكلمات طويلاً.
لم أفهم.
كيف يمكن لإنسان أن يكتب رسالة لنفسه... ثم يحاول أن يجعل نفسه
تنسى؟
مررت أصابعي فوق الحروف، وكأني أبحث عن إجابة مخبأة بينها.
لكن لم أجد إلا سؤالاً واحداً:
من هي المرأة التي كتبت هذه الكلمات؟
ليان التي تقف هنا الآن؟
أم ليان التي لا أستطيع الوصول إليها؟
قلبت الصفحة ببطء.

وفي الصفحة التالية لم يكن هناك سوى سطر واحد:
"لا تثقي بمن سيخبرك من أنت... حتى أنا."
شعرت ببرودة تسري في يدي.
لأول مرة منذ استيقظت، لم أخف من فقدان ذاكرتي.
خفت من الشيء الذي فقدته.
أغلقت الدفتر بسرعة، لكن الكلمات بقيت واضحة أمام عيني.
أنا لم أفقد ذاكرتي فقط.
لقد فقدت جزءاً مني كان يعرف الحقيقة...
وربما كان يخاف أن أعرفها.

الفصل الثاني

الرجل الذي عرفني قبل أن أعرف نفسي

استيقظت في الصباح وأنا لا أعرف إن كنت قد نمت فعلاً، أم أنني قضيت الليل كله أحاول الهروب من جملة واحدة.

"إذا كنت تقرئين هذا... فهذا يعني أنني نجحت في جعلك تنسين."

كانت الكلمات لا تزال عالقة في رأسي.

كلما أغمضت عيني، رأيت الدفتر أمامي.

ورأيت خط يدي يكتب شيئاً لا أتذكره.

كان الأمر أشبه بأنني وجدت رسالة من شخص مجهول... ثم اكتشفت أن

ذلك الشخص هو أنا.

أخفيت الدفتر في درج مكتبي قبل أن تراه أُمي.

لم أعرف لماذا أخفيته.

ربما لأنني لم أرد أن أجيب عن الأسئلة التي ستأتي بعدها.

أو ربما لأن جزءاً مني كان يعرف أن هذا الدفتر ليس مجرد ذكرى.

كان باباً.

وفي اللحظة التي أفتحه فيها، لن أستطيع العودة إلى

الجهل الذي كنت فيه.
نزلت إلى المطبخ، فوجدت أمي تحضر الفطور.
عندما رأتهني ابتسمت.
"نمتَ جيداً؟"
ترددت قبل الإجابة.
"نوعاً ما."
نظرت إليّ طويلاً، وكأنها أرادت أن تسأل سؤالاً آخر، لكنها تراجعَت.
وهذا أصبح يزعجني.
الجميع يفعلون ذلك.
ينظرون إليّ، يتذكرون شيئاً، ثم يقررون الصمت.
قلت وأنا أجلس: "أمي..."
رفعت رأسها.
"نعم؟"
"كيف كنتُ قبل الحادث؟"
تغير وجهها للحظة.
لحظة صغيرة جداً، لكنها كانت كافية.
"كنت... ليان."
انتظرت أن تكمل.
لكنها لم تفعل.
ابتسمت بحزن وقالت: "كنت فتاة قوية."

قوية.
الكلمة نفسها تكررت كثيراً.
لكنني لم أعرف هل كانت مدحاً أم تحذيراً.
قبل أن أسألها أكثر، رن جرس الباب.
نظرت أُمي إلى الساعة باستغراب.
"غريب... لم أكن أنتظر أحداً."
ذهبت لفتح الباب.
وسمعت صوتاً لم أعرفه، لكنه جعل شيئاً داخلي يتحرك.
"صباح الخير."
لم أعرف لماذا شعرت أنني سمعت هذا الصوت من قبل.
ظهرت أُمي من خلف الباب وقالت: "آدم."
توقفت.
الاسم لم يكن غريباً.
وهذا أخافني أكثر.
دخل رجل في أواخر العشرينات تقريباً.
لم يكن ينظر حوله مثل شخص يزور المكان لأول مرة.
كان ينظر وكأنه يعود إلى مكان يعرفه جيداً.
ثم وقعت عيناه عليّ.
سكت.
لثوانٍ طويلة.
لم يقل "الحمد لله على سلامتك"، ولم يبتسم ابتسامة

مجاملة كما فعل الجميع.
فقط نظر إليّ.
وكأنه يبحث عن شيء ضائع.
قلت بتوتر: "هل نعرف بعضنا؟"
بقي صامتًا قليلًا.
ثم قال:
"نعم."
انتظرت.
لكنه لم يضيف شيئًا.
شعرت بالانزعاج.
"لكنني لا أتذكرك."
خفض نظره للحظة، وكأن هذه الجملة آلمته أكثر مما توقعت.
ثم قال بهدوء:
"أعرف."
كانت إجابة بسيطة.
لكنها حملت شيئًا لم أفهمه.
اقتربت أُمِّي وقالت: "آدم كان صديقًا قديمًا لك."
صديقًا.
لكن طريقته في النظر إليّ لم تكن طريقة صديق عادي.
كان هناك حزن.

ندم.
وشيء يشبه الخوف.
قلت: "هل كنتُ أعرفك جيداً؟"
نظر إليّ مباشرة.
وللمرة الأولى شعرت أنني أمام شخص يعرف ليان القديمة أكثر مني.
قال:
"أكثر مما تتخيلين."
ساد الصمت.
وشعرت بشيء بارد في داخلي.
لأنني أدركت أن آدم لم يكن حزيناً لأنني فقدت ذاكرتي فقط.
كان حزيناً لأنني فقدت شيئاً بيننا.
شيئاً لم يعد بإمكانني تذكره.
وعندما غادر بعد دقائق، بقيت أنظر إلى الباب المغلق.
ثم صعدت إلى غرفتي بسرعة.
فتحت الدرج.
أخرجت الدفتر.
وقلبت الصفحات حتى وصلت إلى الجملة الأولى.
"إذا كنتَ تقرأين هذا... فهذا يعني أنني نجحتُ في جعلك تنسين."

لأول مرة، لم أفكر في الجملة.
فكرت في آدم.
ثم قلبت الصفحة التالية.
وكان هناك شيء لم أراه بالأمس.
تحت السطر المكتوب بخط يدي...
ظهر اسم واحد.
آدم.

الفصل الثالث

الاسم الذي أخفته ذاكرتي

تحت اسم آدم، كان هناك شيء آخر.

شيء لم أره بالأمس، أو ربما رأيته، لكن عقلي رفض أن يسمح لي برؤيته.

مررت أصابعي فوق الصفحة ببطء، وأنا أحدق في الحروف. آدم.

فقط اسمه.

لكنني كنت متأكدة أنني لم أكتبه الآن. كان مكتوبًا بخط يدي القديمة،

الخط نفسه الذي لم أعد أعرفه إلا من هذا الدفتر.

جلستُ على طرف السرير، وأبقيت الدفتر مفتوحًا أمامي، وحاولت أن

أتذكر أي شيء. صوته، وجهه، اللحظة التي عرفت فيها، أو حتى شعورًا

واحدًا يخبرني من يكون بالنسبة لي.

لكن رأسي بقي فارغًا.

فارغًا تمامًا.

وهذا الفراغ بدأ يخيفني.

ليس لأنه لا يحتوي على شيء، بل لأنني شعرت، للمرة الأولى، أن هناك

شيئًا يقف خلفه. شيئًا أحاول الوصول إليه، لكنه يبتعد عني كلما اقتربت.

أغلتُ الدفتر.
ثم فتحتهُ.
أغلقته مرة أخرى.
"آدم."
قلتُ اسمه بصوت منخفض، وانتظرت أن يحدث شيء. أن أشعر بشيء،
حنين، خوف، غضب، أو حتى كراهية.
أي شيء.
لكن لا شيء حدث.
وهذا كان أكثر ما أخافني.
كيف يمكن لشخص قال لي إنه يعرفني أكثر مما أتخيل، أن يكون اسمه
مكتوبًا في دفتر كتبتُه أنا لنفسي، ولا أشعر تجاهه بأي شيء؟
وضعتُ الدفتر جانبًا ونهضت. كنت بحاجة إلى الهواء.
فتحتُ نافذة غرفتي، فدخلت نسمات باردة حرّكت الستائر. وقفت أمام
المرآة ونظرت إلى وجهي طويلًا.
"ليان."
قلتُ لنفسي.
انتظرت أن أشعر أن الاسم لي، لكنني لم أشعر بذلك.
كان مجرد اسم.
اسم أعطاني إياه الجميع.
اسم قالوا إنه لي.

ثم تذكرت جملة الدفتر:
"لا تثقي بمن سيخبرك من أنت... حتى أنا."
ابتعدت عن المرأة.
لأول مرة، بدأت أفكر بطريقة مختلفة.
ماذا لو كانت ليان القديمة تعرف أنها ستفقد ذاكرتها؟
ماذا لو كان الحادث ليس هو السبب الوحيد؟
ماذا لو كانت قد تركت لي هذا الدفتر لأنها كانت تعرف أنني سأعود يوماً؟
أنا.
ليان الجديدة.
أم ليان التي كانت قبل أن تنسى؟
جلستُ أمام المكتب من جديد وفتحت الدفتر. قلبت الصفحات واحدة تلو
الأخرى، لكنني لم أجد شيئاً.
صفحة.
صفحتان.
ثلاث.
ثم توقفت.
كان هناك شيء في أسفل الصفحة، كلمات صغيرة جداً.
اقتربت منها وقرأتها بصعوبة:
"إذا ظهر آدم قبل أن تتذكري..."
توقفت.

شعرت بأنفاسي تتسارع.
تابعت القراءة:
"فلا تخبريه أنك قرأت الدفتر."
تجمدت يدي.
بقيت أهدق في الجملة.
لم أفهم.
لماذا؟
لماذا أخاف من رجل يبدو أنني كنت أعرفه جيدًا؟
ولماذا كانت ليان القديمة تحذرنني منه؟
ثم رأيت السطر الأخير.
كان مكتوبًا بطريقة مختلفة، أكثر ضغطًا، كأن القلم كاد يمزق الورق:
"لأن آدم سيحاول أن يعيدني إليك."
رفعت رأسي ببطء.
"يعيدك؟"
همست.
"من أنت؟"
لم يجبني أحد.
لكن في تلك اللحظة، سمعت طرقًا خفيًا على باب غرفتي.
"ليان؟"

كان صوت أمي.
أغلقت الدفتر بسرعة.
"نعم؟"
فتحت الباب قليلاً، فوجدت أمي واقفة أمامي، تحمل كوباً من الشاي.
كانت تبتسم، لكن ابتسامتها لم تصل إلى عينيها.
"أردت فقط أن أطمئن عليك."
"أنا بخير."
نظرت إلى الدرج خلفي، ثم عادت تنظر إليّ. شعرت للحظة أنها تعرف شيئاً.
لا أعرف ماذا.
لكنها تعرف شيئاً.
قلت:
"أمي..."
"نعم؟"
"آدم."
تغير وجهها.
مرة أخرى، تلك اللحظة الصغيرة التي أصبحت أعرفها جيداً. لحظة يتغير فيها وجه الشخص أمامي قبل أن يقرر ماذا سيقول.
قلت:

"من هو بالضبط؟"
جلست أُمي على طرف السرير.
"قلت لك... صديق قديم."
"هذا ليس جوابًا."
صمتت.
اقتربت منها وقلت:
"كنت تعرفين أنني كنت أعرفه جيدًا، أليس كذلك؟"
نظرت إليّ.
ولم تجب.
"أُمي."
تنهدت.
"ليان، ليس كل شيء يجب أن تعرفه الآن."
ضحكت بمرارة.
"الغريب أن الجميع يقولون لي هذا."
رفعت حاجبيها.
"ماذا تقصدين؟"
"أنتِ تقولين لي لا تتذكري الآن. وآدم ينظر إليّ وكأنه ينتظر شخصًا آخر."
توقفت قليلًا، ثم نظرت إليها مباشرة.
"والدفتري..."
كدت أقول لها عن الدفتر.

لكنني تذكرت الجملة.
"لا تخبريه أنك قرأت الدفتر."
لم يكن مكتوبًا: لا تخبري آدم.
كان مكتوبًا:
"لا تخبريه."
ولسبب لم أفهمه، شعرت أن التحذير لا يتعلق بآدم وحده.
بل بالجميع.
قلت:
"والدفتر؟"
تجمدت أُمي.
للحظة واحدة فقط.
لكنني رأيته.
رأيت الخوف.
الخوف الحقيقي.
ثم سألتني بصوت منخفض:
"أي دفتر؟"
شعرت بقلبي يتوقف.
لم أجب.
اقتربت مني وقالت:
"ليان... أي دفتر؟"

نظرت إليها.
ولأول مرة منذ استيقظت، لم أشعر أنني ابنتها التي تحتاج إلى حمايتها.
شعرت أنني شخص يقف أمام شخص آخر، وكلاهما يخفي شيئاً.
ابتسمت وقلت:
"لا شيء."
حدقت بي طويلاً.
ثم نهضت.
"حسناً."
خرجت من الغرفة وأغلقت الباب.
بقيت واقفة في مكاني.
لم تتحرك أفكاري.
لكن سؤالاً واحداً ظل يتكرر في رأسي:
كيف عرفت أُمي أن هناك دفترًا؟
عدت إلى الدرج وفتحته.
أخرجت الدفتر وقلبت الصفحة بسرعة.
كانت الجملة لا تزال هناك:
"إذا ظهر آدم قبل أن تتذكري... فلا تخبريه أنك قرأت الدفتر."
ثم توقفت.

شيء ما لم يكن منطقيًا.
حدقت في الكلمات.
ثم قلبت الصفحة.
كانت هناك جملة جديدة.
لم أرها من قبل.
"وإذا عرفت أمك بأمر الدفتر... فقد تأخرت."
سقط الدفتر من يدي.
هذه المرة، لم أشعر بالخوف من فقدان ذاكرتي.
شعرت بالخوف من احتمال آخر.
ربما لم تكن ذاكرتي هي الشيء الوحيد الذي حاولت ليان القديمة إخفاءه.
ربما كانت تحاول إخفائي أنا.
وفي تلك اللحظة، اهتز هاتفي على الطاولة.
نظرت إليه.
رقم مجهول.
ترددت قبل أن أجيب.
ثم ضغطت.
"ألو؟"
لم يجب أحد.
فقط صمت.
قلت:

"من معي؟"
سمعت نفسًا خافتًا في الطرف الآخر.
ثم صوت رجل.
صوت لم أسمعه من قبل، لكن شيئًا في داخلي عرفه.
قال:
"ليان؟"
تجمدت.
"نعم."
ساد الصمت للحظات.
ثم قال:
"الحمد لله أنك ما زلت لا تتذكرين."
انقطع الاتصال.
بقيت أهدق في الهاتف.
لم أتحرك.
ثم نظرت إلى الدفتر.
إلى اسم آدم.
وفهمت شيئًا واحدًا فقط.
آدم لم يكن الوحيد الذي ينتظر عودة ليان القديمة.
هناك شخص آخر...
كان يتمنى ألا تعود أبدًا.

الفصل الرابع: "الشيء الذي طلبتُ من نفسي أن أنساه"
لم أنم تلك الليلة.
بقي اسم آدم أمامي حتى بعد أن أغلقت الدفتر، وكأن مجرد رؤيته مكتوبًا
بخط يدي كان كافيًا ليوظ شيئًا في داخلي لا أعرف اسمه.
كنت أجلس على طرف سريرى، والدفتر فوق ركبتي، وأعيد قراءة الجملة
نفسها للمرة العاشرة.
"إذا كنتِ تقرئين هذا... فهذا يعني أنني نجحتُ في جعلك تنسين."
نجحتُ.
لم تقل الجملة إنني فقدتُ ذاكرتي.
لم تقل إنني نسيتُ بسبب حادث، أو مرض، أو إصابة.
قالت: نجحتُ.
وهذا يعني أن النسيان كان شيئًا حدث لي... أو بالأحرى، شيئًا حدث لي
بسببي.
رفعت رأسي ببطء ونظرت إلى المرأة المقابلة.
للمرة الأولى منذ استيقظت، لم أرَ امرأة فقدت ذاكرتها.
رأيت امرأة أخفت شيئًا عن نفسها.
اقتربت من المرأة، ولمست وجهي بأطراف أصابعي.
"ماذا فعلتِ يا ليان؟"
لم يجبني أحد.

لكن شيئًا غريبًا حدث.
للحظة قصيرة جدًا، شعرت أنني أعرف الإجابة.
ثم اختفت.
وضعت يدي على رأسي، وأغمضت عيني.
رأيت بابًا.
بابًا أبيض.
ممرًا طويلًا.
ضوءًا شديدًا.
وصوتًا يقول:
"هل أنت متأكدة؟"
فتحت عيني بسرعة.
كنت أتنفس بصعوبة.
لم أعرف أين كنت.
الغرفة كانت أمامي.
السريـر.
المرأة.
الدفتـر.
كل شيء في مكانه.
لكن قلبي كان يخبرني أنني كنت في مكان آخر.
مكان لم أعد أتذكره.
أمسكت الدفتـر مرة أخرى، وقلبت صفحاته بسرعة.

كانت معظم الصفحات فارغة.
لكنني كنت متأكدة أن هذا ليس كل شيء.
رفعت الدفتر باتجاه الضوء.
لا شيء.
مررت أصابعي على أطراف الصفحات.
توقفت.
كان هناك شيء.
شعرت بوجود ورقة ملتصقة بين صفحتين.
حاولت فصلها بحذر، حتى خرجت ورقة صغيرة مطوية.
لم تكن مكتوبة بخط يدي.
كان الخط مختلفاً.
فتحتها.
وكان فيها سطر واحد:
"لا تبحثي عن ذاكرتك قبل أن تعرفي لماذا طلبت فقدانها."
تجمدت.
طلبت.
هذه المرة لم يكن هناك مجال للشك.
أنا طلبت ذلك.
أنا أردت أن أنسى.
لكن لماذا؟

جلست على الأرض دون أن أشعر.
وضعت الورقة أمامي، وبقيت أهدق فيها.
كلما حاولت أن أتذكر، كان رأسي يؤلمني أكثر.
لكن الألم لم يكن عاديًا.
كان أشبه بحاجز.
كأن هناك شيئًا في داخلي يقف أمام الذكريات ويمنعني من الوصول إليها.
وقبل أن أتمكن من التفكير أكثر، سمعت طرقًا خفيًا على الباب.
أخفيت الورقة بسرعة.
"ليان؟"
كان صوت أمي.
أغلقت الدفتر.
"نعم؟"
فتحت الباب قليلًا، ونظرت إليّ.
ثم إلى الدفتر.
توقفت عيناها عنده للحظة.
لاحظت ذلك.
قلت:
"أمي... هل تعرفين هذا الدفتر؟"
لم تجب.

وهذه المرة لم أسمح لها بالهرب من السؤال.

"أمي."

تنهدت.

"من أين وجدته؟"

"في غرفتي."

"كان يجب أن تتركه."

شعرت ببرودة في أطرافي.

"لماذا؟"

رفعت عينيها إليّ.

ولأول مرة منذ عودتي إلى المنزل، لم أرَ في وجهها أمّا سعيدة بعودة

ابنتها.

رأيت امرأة خائفة.

قالت:

"لأنك أنت من طلبت مني أن أخفيه."

شعرت أن الأرض اختفت من تحتي.

"ماذا؟"

اقتربت مني وأغلقت الباب خلفها.

جلست أمامي.

"قبل أن... قبل أن تنسي، تركت لي أشياء كثيرة."

"أشياء؟"

هزت رأسها.

"أشياء لم أفهمها وقتها."
"وأين هي؟"
صمتت.
"أمي، أين هي؟"
قالت بصوت خافت:
"لم تعد موجودة."
"ماذا يعني هذا؟"
نظرت إليّ طويلاً.
"أنتِ طلبتِ مني أن أتخلص منها."
شعرت أنني لا أستطيع التنفس.
"لماذا؟"
لم تجب.
صرخت هذه المرة:
"لماذا؟!"
انتفضت أمي.
ثم قالت:
"لأنك كنتِ خائفة."
"من ماذا؟"
خفضت رأسها.
"لم تقولي."
ساد الصمت.

شعرت أنني أريد أن أصرخ.
أريد أن أعرف.
أريد أن أفتح رأسي بيدي وأخرج كل شيء مخبأ داخله.
لكن شيئاً واحداً كان يوقفني.
آدم.
تذكرت وجهه عندما رأيته.
تذكرت صمته.
تذكرت الطريقة التي قال بها:
"أكثر مما تتخيلين."
نظرت إلى أمي.
"هل آدم يعرف؟"
تغير وجهها.
وهذه المرة لم تحاول إخفاء خوفها.
قالت:
"لا تقتربي منه."
توقفت.
"ماذا؟"
"ليان، اسمعيني جيداً. إذا كنتِ تريدِين أن تعيشي حياتك من جديد، فلا
تبحثي عن الماضي."
"لكن آدم يعرفني."
"وهذا هو السبب الذي يجعلني أقول لكِ ابتعدي عنه."

نهضت بسرعة.
"أنت تخفين شيئاً عني."
"أنا أحاول حمايتك."
"من ماذا؟"
لم تجب.
"من آدم؟"
بقيت صامتة.
اقتربت منها.
"هل هو السبب؟"
رفعت عينيها إليّ.
وفي تلك اللحظة، رأيت شيئاً لم أراه من قبل.
الخوف.
ليس الخوف مني.
بل الخوف عليّ.
قالت:
"آدم ليس الشخص الذي يجب أن تخافي منه."
توقفت.
"إدّا من؟"
فتحت فمها، لكنها لم تقل شيئاً.
ثم خرجت من الغرفة.
وتركتني وحدي.

وحدى مع سؤال واحد:
إذا لم يكن آدم هو الشخص الذي يجب أن أخاف منه...
فمن الذي كنت أخاف منه قبل أن أطلب من نفسي أن أنسى؟
نظرت إلى الدفتر.
فتحت الصفحة الأخيرة.
لم أكن أعرف لماذا فعلت ذلك.
ربما لأنني شعرت أن شيئًا ما ينتظرني هناك.
قلبت الصفحة.
وكانت هناك جملة جديدة.
بخط يدي.
لكن هذه المرة كانت الكلمات مختلفة.
أكثر خوفًا.
أكثر وضوحًا.
"ليان، إذا وصلت إلى هنا، فلا تفعل ما فعلته أنا."
توقفت.
أكملت القراءة.
"لا تثقي بآدم."
تجمدت.
لكن قبل أن أستوعب الجملة، كان هناك سطر آخر تحتها.
"ولا تثقي بأمي."

بقيت أصدق في الصفحة.
ثم ظهر السطر الأخير.
السطر الذي جعل قلبي يتوقف:
"ولا تثقي بنفسك... حتى تعرفي من كنت قبل أن تختاري أن تختفي."
أغلقت الدفتر.
وفي اللحظة نفسها، وصلني إشعار على هاتفي.
رقم مجهول.
فتحت الرسالة.
كانت تحتوي على صورة واحدة.
صورة لامرأة تشبهني.
أنا.
لكنني لم أكن وحدي في الصورة.
كان آدم يقف بجانبني.
وفي الخلفية...
كان هناك باب أبيض.
نفس الباب الذي رأيته في ذاكرتي.
وتحت الصورة، كانت هناك رسالة واحدة:
"أنت لم تنسي يا ليان."
"أنت جعلت الجميع ينسون معك."

الفصل الخامس:

"الليلة التي لم يكن من المفترض أن أتذكرها"
لم أستطع إخراج الصورة من رأسي.
أنا وآدم.
الباب الأبيض.
والرسالة:
"أنت لم تنسي يا ليان."
"أنت جعلت الجميع ينسون معك."
منذ اللحظة التي قرأتها فيها، شعرت أن شيئًا ما تغير.
لم أعد أريد أن أتذكر.
كنت أريد أن أعرف.
وهناك فرق كبير بين الاثنين.
التذكر يعني أن تنتظر الماضي حتى يعود إليك.
أما المعرفة... فتعني أن تذهب أنت إليه.
ولأول مرة منذ استيقظت، قررت أن أبحث بنفسي.
بدأت بالصورة.
كبرتها على هاتفي، وراحت عيناى تبحثان عن أي تفصيل يمكن أن يقودني
إلى المكان.
الجدار خلفنا كان أبيض.
الأرضية لامعة.

وفي الزاوية، ظهر جزء صغير من لوحة معدنية.
أوقفت الصورة.
كبرتُها أكثر.
كان هناك رقم.
ثلاثة أرقام فقط.
"317".
لم أعرف ماذا يعني.
لكنني شعرت أنني رأيته من قبل.
بحثت في هاتفي.
في الصور.
في الملاحظات.
في الملفات القديمة.
لا شيء.
حتى وصلت إلى تطبيق الخرائط.
كتبت الرقم بلا سبب.
لم يظهر شيء.
أغلقت الهاتف.
ثم تذكرت شيئاً.
آدم.
كان يعرف المكان.
وربما يعرف كل شيء.

لكنني لم أستطع أن أسأله مباشرة.
إذا كانت أُمي تخاف منه، وإذا كان هو الشخص الذي كتبت اسمه في
دفترتي، وإذا كانت الرسالة تقول لي ألا أثق به...
فلماذا كان أول شخص فكرت فيه عندما احتجت إلى إجابة؟
ربما لأنني، بطريقة لا أفهمها، كنت أثق به قبل أن أفقد ذاكرتي.
وهذا كان أكثر ما يخيفني.
أن يكون الشخص الذي يجب أن أخاف منه...
هو نفسه الشخص الذي كنت أشعر معه بالأمان.
في المساء، خرجت من المنزل دون أن أخبر أُمي.
لم أكن أعرف إلى أين أذهب.
لكن قدمي قادتاني إلى مكان شعرت أنه مألوف.
مقهى صغير في شارع هادئ.
وقفت أمامه.
لم أعرف اسمه.
لكنني عرفت الباب.
عرفت الطاولة القريبة من النافذة.
وعرفت، بطريقة غريبة، أنني جلست هنا من قبل.
دخلت.

جلست.
وبقيت أراقب الشارع.
مرّت دقائق طويلة.
ثم ظهر آدم.
لم أطلب منه أن يأتي.
لكنه جاء.
جلس أمامي دون أن يسأل كيف عرفت مكانه.
وهذا وحده كان كافياً ليُجعل قلبي ينبض.
قلت:
"أنت كنت تعرف أنني سأصل إلى هنا."
نظر إليّ.
"نعم."
"كيف؟"
صمت.
"آدم."
تنهد.
"لأنك كنت تأتيين إلى هنا كلما أردت أن تهربي."
توقفت.
"من ماذا؟"
نظر إلى النافذة.
"من نفسك."

ضحكت بمرارة.
"الجميع يقولون لي الشيء نفسه."
"لأن الحقيقة واحدة."
"أي حقيقة؟"
لم يجب.
أخرجت هاتفني ووضعت الصورة أمامه.
تغير وجهه.
لم تكن الصدمة كبيرة.
لكنها كانت موجودة.
وهذا يعني أنه يعرف.
قلت:
"أين هذا المكان؟"
لم ينظر إلى الصورة.
"لا تسأليني."
"أنا أسألك الآن."
"ليان..."
"أين؟"
رفع عينيه إليّ.
وللمرة الأولى، رأيت الخوف في وجهه.
ليس خوفًا مني.
خوفًا عليّ.

قال:
"أنتِ طلبتِ ألا تتذكري."
توقفت أنفاسي.
"ماذا قلت؟"
"سمعتني."
"أنا طلبت؟"
هز رأسه.
"نعم."
شعرت أنني لا أستطيع تحريك يدي.
"متى؟"
"قبل أن تختفي ذاكرتك."
"وأنت كنت هناك؟"
صمت.
"آدم."
"كنت هناك."
"وأمي؟"
لم يجب.
عرفت الإجابة من صمته.
"كانت تعرف."
أخفض رأسه.
"نعم."

شعرت أن كل شيء حولي بدأ يضيق.
كل شخص أعرفه كان يعرف.
كل شخص أحبني كان يعرف.
وأنا الوحيدة التي لا تعرف شيئاً عن حياتي.
ضربت الطاولة بيدي.
"لماذا؟!"
رفع آدم رأسه.
"لأنك طلبت منا ذلك."
"لماذا طلبت؟!"
سكت.
صرخت:
"لماذا جعلتموني أنسى؟!"
نظر إليّ طويلاً.
ثم قال جملة جعلتني أشعر أن الدم توقف في عروقي:
"لأنك كنت تعرفين شيئاً لم يكن من المفترض أن تعرفيه."
بقيت صامتة.
"ماذا؟"
"لا أعرف."
توقفت.
"ماذا تعني لا تعرف؟"

"أنا أعرف أنك طلبت النسيان. أعرف أنك كنت خائفة. أعرف أنك جعلتني
أعدك ألا أخبرك شيئاً."
"لكن لماذا؟"
"لأنك قلت إن الحقيقة أخطر من أن تتذكرها."
شعرت بقلبي يسقط.
"أنا قلت هذا؟"
هز رأسه.
"نعم."
ثم أضاف:
"وقلت شيئاً آخر."
انتظرت.
"ماذا؟"
نظر إلى عينيّ.
ولم أعرف لماذا شعرت أنني لا أريد سماع الإجابة.
قال:
"قلت لي إنك إذا تذكرت كل شيء قبل الوقت المناسب... ستبحثين عن
شخص."
"من؟"
صمت.
"آدم."
"لا أعرف."

نهضت من مكاني.
"أنت تكذب."
"ليان..."
"أنت تعرف."
اقترب مني.
"لو كنت أعرف، لكنت أخبرتك."
"لماذا؟ لأنك تحبني؟"
تجمد.
لم أعرف لماذا قتلتها.
لكنه تجمد فعلاً.
وهنا فهمت.
كان هناك شيء بيننا.
شيء لم يكن موجوداً في كلام أُمي.
شيء لم يكن موجوداً في الدفتر.
شيء ربما كان موجوداً في حياتي القديمة، لكنه اختفى معي.
قلت بهدوء:
"ماذا كنت بالنسبة لك؟"
لم يجب.
"صديق؟"
صمت.

"أكثر من صديق؟"
ظل ينظر إليّ.
لكنني لم أحتج إلى إجابة.
لأن عينيّه أجابتنا.
تراجعت خطوة.
"لماذا لم تخبرني؟"
قال:
"لأنك طلبت مني ألا أفعل."
"وماذا لو كنت أريد أن أعرف الآن؟"
"لست مستعدة."
"ومن يقرر ذلك؟ أنت؟"
لم يجب.
تركني وخرج.
بقيت واقفة في المقهى.
غاضبة.
خائفة.
ومرتبكة.
لكن أكثر شيء أزعجني...
أنني عندما خرجت خلفه، لم أجده.
اختفى.
وكانه لم يكن هناك أصلاً.

عدت إلى المنزل بعد منتصف الليل.
كان البيت مظلمًا.
دخلت بهدوء.
صعدت إلى غرفتي.
لكن قبل أن أصل إلى الباب، توقفت.
كان هناك صوت.
صوت أمي.
تأتي من غرفة المعيشة.
كانت تتحدث مع شخص.
اقتربت دون أن أشعر.
توقفت خلف الجدار.
سمعتها تقول:
"لا يجب أن تعرف."
صمت.
ثم جاء صوت رجل.
لم أستطع تمييزه.
قال:
"لكنها بدأت تتذكر."
شعرت بقلبي يتوقف.
قالت أمي:
"قلت لك إنها لن تتذكر."

رد الرجل:
"هي لم تتذكر بعد."
توقفت.
ثم قال:
"لكنها بدأت تسأل."
صمت طويلاً.
ثم جاء السؤال الذي جعلني أشعر أنني لن أستطيع النوم بعد هذه الليلة:
"وماذا سنفعل إذا تذكرت من كانت فعلاً؟"
لم أسمع إجابة.
لأن شيئاً آخر حدث.
هاتف في يدي اهتز.
نظرت إلى الشاشة.
رسالة جديدة.
من الرقم المجهول نفسه.
فتحتها.
كان هناك تسجيل صوتي.
ضغطت عليه.
في البداية لم أسمع شيئاً.
ثم...
سمعت صوت امرأة.

صوتًا يشبه صوتي.
لكنني لم أعرفه.
كانت تبكي.
وتقول:
"إذا كنتَ تسمعين هذا الآن..."
توقفت.
ثم سمعت صوت شهقة.
"فهذا يعني أنني فشلت."
تجمدت.
أكملت المرأة:
"كنت أعتقد أنني أستطيع أن أعيش دون أن أتذكر."
ثم ساد الصمت.
وبصوت أكثر خوفًا، قالت:
"لكنهم بدأوا يبحثون عني."
وضعت يدي على فمي.
"ليان..."
توقفت.
ثم قالت:
"إذا كنتَ أنتَ ليان فعلاً..."
توقفت طويلاً.
"فلا تثقي بأحد."

انقطع التسجيل.
بقيت أهدق في الهاتف.
ثم سمعت صوتًا خلفي.
"ليان؟"
استدرت بسرعة.
كانت أمي تقف عند نهاية الممر.
وجهها شاحب.
نظرت إلى الهاتف في يدي.
ثم إلى عيني.
وفهمت.
عرفت أنني سمعت.
اقتربت مني ببطء.
قلت:
"من كانت المرأة التي في التسجيل؟"
لم تجب.
"أمي."
صمت.
"كانت أنا؟"
رفعت عينيها إليّ.
ولم تقل شيئًا.
وهنا...

لأول مرة منذ أن فتحت عيني في المستشفى...
تمنيت ألا أتذكر.
لأنني بدأت أفهم شيئاً مرعباً.
ربما لم تكن ليان القديمة هي الشخص الذي أحاول استعادته.
ربما كانت هي الشخص الذي حاول الجميع...
حتى أنا...
أن يدفنوه إلى الأبد.

الفصل السادس:

حين قررتُ أن أعيش حياة ليان
في صباح اليوم التالي، استيقظتُ وأنا أشعر بأنني للمرة الأولى لا أريد أن
أبحث عن شيء.
لا أريد أن أفتح الدفتر.
لا أريد أن أسأل أمي عن الماضي.
ولا أريد أن أجلس أمام آدم وأحاول أن أقرأ في عينيه ما لا يقوله.
كنت متعبة من محاولة فهم نفسي، ومن مراقبة وجوه الآخرين بحثًا عن
إجابة، ومن ذلك الشعور الغريب الذي يرافقني في كل مكان؛ شعور أن
الجميع يعرف قصة حياتي إلا أنا.
لذلك، جلست على طرف سريرتي، ونظرت إلى الغرفة من حولي، واتخذت
قرارًا بسيطًا.
سأعيش.
سأعيش حياة ليان، حتى لو لم أتذكر كيف كانت.
سأزور الأماكن التي كانت تحبها، وأقرأ الكتب التي كانت تقرأها، وأتعرف
إلى الأشخاص الذين كانوا جزءًا من حياتها، وسأحاول أن أفهم الأشياء
التي كانت تجعلها تضحك أو تغضب أو تشعر بالراحة.

لكنني لن أجبر نفسي على أن أتذكر.
لن أركض خلف ليلان القديمة.
إذا كانت ذاكرتي تريد العودة، فستعود.
وإذا لم تعد، فسأتعلم أن أعيش دونها.
ربما لم أكن بحاجة إلى استعادة حياتي القديمة كاملة.
ربما كان عليّ أن أصنع حياة جديدة تشبهني أنا.
بدأت من أشياء صغيرة.
أخبرتني أمي أنني كنت أحب الطبخ، وأنني كنت أدخل المطبخ كثيرًا وأصرّ
على إعداد الطعام بنفسني، حتى لو انتهى الأمر بفوضى لا تشبه المطبخ
بشيء.
قررت أن أجرب.
وبعد وقت طويل من المحاولات، وقفت أمام الطبق الذي صنعتته وأنا
أحدق فيه بصمت.
ثم نظرت إلى أمي.
نظرت أمي إلى الطبق.
ثم عادت ونظرت إليّ.
قلت بحذر:
"أمي..."
"نعم؟"
"هل هذا الطعام آمن؟"
حاولت أن تمنع ضحكتها.

"أكيد آمن."
"أنت متأكدة؟"
"إي."
نظرت إلى الطبق مرة أخرى.
"لأن منظره يتكلم غير ذلك."
ضحكت أمي، وكانت ضحكتها صادقة هذه المرة.
ضحكت معها، وشعرت للحظة أنني فعلت شيئاً جيداً.
ليس لأن الطبخة نجحت، فهي لم تنجح إطلاقاً، بل لأنني جعلت أمي تضحك.
وبينما كنت أحاول أن أنقذ ما تبقى من الطبق، رن جرس الباب.
سمعت صوت آدم من الخارج.
"مرحباً."
رفعت أمي صوتها:
"اهلاً عزيزي، ادخل."
دخل آدم، وكان يحمل في يده كيساً صغيراً.
توقفت عيناه عند الطبق.
ثم نظر إليّ.
ثم عاد ينظر إلى الطبق.
قلت فوراً:
"لا تتكلم أي شيء."

رفع يديه باستسلام .
"لن افعل . " قالها وكاد أن ينفجر ضاحكا
"لكن عيناك تكلمت."
ابتسم.
اقترب قليلاً ونظر إلى ما صنعتُهُ، ثم قال:
"بصراحة..."
"آدم."
ضحك.
"حسنا حسنا ."
جلست على الكرسي وأنا أشعر بالهزيمة.
"أنني احاول التعلم ."
نظر إليّ للحظة، ثم قال بعفوية:
"لكن ليان القديمة كان أكلها لذيذ"
توقفت.
نظرت إليه.
"ليان القديمة؟"
ساد صمت قصير.
وكأن جملته خرجت منه قبل أن يفكر.
لكنني ابتسمت بسرعة وقلت:
"آه، يبدو انني لم افقد ذاكرتي فقط ..."
أشرت إلى الطبق أمامي.

"...فقدت مهاراتي ايضاً."

ضحك آدم.

ضحكت معه.

وللمرة الأولى منذ استيقظت في المستشفى، شعرت أن ضحكتي خرجت من مكان طبيعي في داخلي، دون أن أفكر إن كانت ليان القديمة تضحك بهذه الطريقة أم لا.

نظرت إليه وهو يضحك.

كان في ضحكته شيء مألوف.

شيء جعلني أشعر للحظة أنني سمعت هذه الضحكة كثيراً.

لكنني لم أتذكر متى.

ولا أين.

فقط شعرت بها.

وهذا كان غريباً.

بعد قليل، جلس آدم معنا، وبقي يتحدث عن أشياء عادية جداً.

عن الطريق.

عن الطقس.

عن الطعام الذي فشلت في إعداده.

ولم يسألني مرة واحدة إن كنت تذكرت شيئاً.

لم يقل لي: "تذكرني هذا الموقف؟"

ولم يحاول أن يختبر ذاكرتي كما يفعل الآخرون.
كان يتعامل معي كما أنا الآن.
وهذا الشيء، بطريقة غريبة، جعلني أشعر بالراحة.
قلت له فجأة:
"آدم."
رفع عينيه إليّ.
"نعم؟"
"أنا قررت شيئاً"
"ما هو؟"
"سأعيش حياة ليان."
سكت.
نظرت إليه.
"لم أقصد إنني سأحاول أتذكر غصب عني. أريد أن أعرفها رويدا رويدا."
بقي ينظر إليّ.
فأكملت:
"أريدان اعرف ما كانت مفضلاتها، الى اين كانت تذهب ، ماكانت تفعل، من
هم أصدقائها... فقط اريد ان أعلم كل شي في طريقتي."
ابتسم.
"قرار جميل."

"لكن يوجد شرط."
رفع حاجبه.
"ما هو؟"
"لا ترويلي حياتي كلها مرة واحدة ك قصة "
ضحك.
"لماذا؟"
"لأنني أريد التعرف عليها بنفسي."
نظر إليّ طويلاً.
ثم قال:
"غالبا ستكتشفي إنها لم تكن مختلفة عنك كثيراً."
سألته:
"كيف هذا؟"
هز كتفيه.
"لا اعلم."
لكنني شعرت أنه يعرف أكثر مما قال.
وفي اليوم التالي، بدأت رحلتي الصغيرة.
لم تكن رحلة للبحث عن الذاكرة.
كانت رحلة لأتعرف على الحياة التي تركتها ليان القديمة خلفها.
أخذت أُمي ألبوم الصور من الخزانة، وجلست بجانبني.
كانت كل صورة تحمل وجهاً يشبهني، لكنني لم أكن

أعرف صاحبة ذلك الوجه.
في صورة، كنت أضحك.
في أخرى، كنت غاضبة.
وفي الثالثة، كنت أقف في مكان لم أزره منذ سنوات، بحسب كلام أمي.
كنت أضحك أحياناً من أشياء لا أتذكرها.
وأحياناً كنت أتوقف طويلاً أمام صورة واحدة دون أن أعرف لماذا.
لم تأتِ الذكريات.
لكن بعض المشاعر جاءت.
وهذا كان كافياً.
في المساء، وجدت نفسي في المطبخ مرة أخرى.
كنت أحاول إعداد الطعام للمرة الثانية.
دخل آدم فجأة، ونظر إليّ.
قال:
"ماذا تفعلين يا صغيرة؟"
"أحاول تصليح ما يقال عني."
نظر إلى ما في يدي.
"ما زلت تريدين؟"
"أكيد."
اقترب وأخذ الملعقة مني.

"أعطيني."
نظرت إليه باستغراب.
"لماذا؟"
"لأنك سحرقين المطبخ."
"أنا؟"
"إي، إنت."
أشرت إلي نفسي.
"أنا ليان."
"اعلم."
"الم تكن انت الذي قلت لي ان مهارتي بالطبخ عالية؟"
ابتسم.
"كان."
توقفت.
نظر إليّ.
ثم ضحك.
ضحكت معه.
"حسنا، اذا علمني."
"أعلمك؟"
"اجل."
نظر إليّ وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً.
ثم قال:

"الغريب إنك كنت دائماً ترفضين أن أساعدك."
رفعت حاجبي.
"أنا؟"
"اجل ، انت ."
"من الواضح إنني كنت مغرورة."
"جداً."
ضربته بالملعقة على كتفه.
"آدم!"
ضحك وابتعد.
وفي وسط ضحكاتنا، حدث شيء صغير.
كنت أقلب الطعام، وفجأة، دون أن أفكر، أضفت مقداراً معيناً من الملح.
توقفت.
نظرت إلى يدي.
ثم إلى آدم.
"ماذا؟"
سألني.
"لا اعلم."
"ماذا حدث؟"
"أنا... اعلم كمية الملح الذي سأضعها."
نظر إليّ.

"وأين المشكلة؟"
"لا أعلم."
تذوقت الطعام.
كان أفضل.
بكثير.
ضحكت.
"أرأيت؟"
ابتسم.
"قلت لك إنك تعلمين طريقة أطيب الأكلات."
هزرت رأسي.
"لا، أنا لا أعلم."
ثم نظرت إلى الملعقة في يدي.
"لكن ربما ليان تعلم."
تغيرت ملامحه للحظة.
لكنني لم أعلق.
في تلك الليلة، عدت إلى غرفتي.
جلست أمام المرأة طويلاً.
كنت أنظر إلى وجهي.
إلى عيني.
إلى ابتسامتي.
وفكرت في كل شيء.

ربما كانت ليان القديمة ما تزال بداخلي.
ربما لم تختفِ.
ربما كانت تختبئ في يدي حين أضيف الملح إلى الطعام دون أن أعرف
لماذا، وفي ضحكتي حين أسمع ضحكة آدم، وفي الأماكن التي أشعر أنها
مألوفة دون أن أتذكر أنني زرتها.
وربما...
ربما لن تعود ذاكرتي دفعة واحدة.
ربما ستعود على شكل تفاصيل صغيرة.
تفاصيل لا يلاحظها أحد.
لكنني سألاحظها.
لأنني قررت أن أعيش.
وفي تلك الليلة، قبل أن أنام، نظرت إلى الدرج الذي أخفيت فيه الدفتر.
لم أفتحه.
لم أكن بحاجة إليه.
للمرة الأولى، شعرت أنني لا أحتاج إلى أن أعرف كل شيء الآن.
يمكنني أن أترك بعض الأبواب مغلقة.
وأن أعيش أمامها دون خوف.
غداً سأخرج مع آدم.

قال إنه سيأخذني إلى مكان كنت أحبه كثيراً.
لم يقل لي أين.
وأنا لم أسأله.
ربما كنت أريد أن أعرف إن كان المكان سيوقظ شيئاً في داخلي.
أو ربما...
كنت أريد فقط أن أرى إن كنت سأحبه أنا أيضاً.
فالآن، لم أعد أحاول أن أصبح ليان التي يتذكرها الجميع.
أنا ليان التي استيقظت من جديد.
وسأكتشفها...
تفصيلاً تفصيلاً.

الفصل السابع

أشياء لا تُنسى

«لم يعد السؤال: من كنت؟ بل ماذا كنت أفعل... قبل أن أنسى؟»
مرّت الأيام التالية بهدوء لم أعتده. لم يعد كل صباح يبدأ بالخوف، ولم أعد أنام وأنا أنتظر أن أستيقظ على ذكرى جديدة أو صدمة أخرى. كنت أحاول، للمرة الأولى، أن أعيش حياتي كما هي، لا كما كانت. قررت أن أتوقف عن مطاردة الماضي، ولو مؤقتًا. قلت في نفسي:
"إن كانت ذاكرتي لا تريد العودة الآن، فلعلّ عليّ أن أتعلم كيف أعيش بما تبقى منها."
في ذلك الصباح، خرجت مع والدتي إلى السوق. كنت أراقب الناس من حولي، أحاول أن أقنع نفسي بأنني أشبههم، وأن الحياة تمضي مهما حمل الإنسان من فراغ داخله.
كانت والدتي تتحدث عن أمور يومية، عن الخضراوات، وعن موعد زيارة إحدى قريباتنا، بينما كنت أستمع إليها بصمت. لكن شيئًا غريبًا حدث.

توقفت فجأة أمام أحد المتاجر، ثم قلت دون تفكير:
«المفاتيح في جيب معطفك الأيسر.»
نظرت إليّ والدتي بدهشة. وضعت يدها في الجيب الأيسر، فأخرجت
المفاتيح بالفعل.
ابتسمت قائلة:
«كيف عرفت ذلك؟ لقد نسيت أنني وضعتها هناك.»
حدّقت في المفاتيح لحظات، ثم قلت وأنا أهز كتفي:
«لا أعلم... شعرت فقط بأنها هناك.»
لم تعلق والدتي، لكنها بقيت تنظر إليّ بنظرة طويلة، وكأنها تخشى أن أكون
قد بدأت أتذكر أكثر مما أقول.
وفي المساء، كان آدم يجلس في المطبخ يحتسي القهوة، بينما وقفت
أحاول إعداد العشاء للمرة الثانية منذ عودتي.
ابتسم آدم وهو يراقبني.
«هل ما زلت مصرة على المحاولة؟»
ابتسمت وأنا أرفع حاجبي.
«إن استسلمت اليوم، فلن أتعلم أبدًا.»
مددت يدي نحو خزانة التوابل، فأخذت ثلاث عبوات متتالية، ثم أضفتها
إلى الطعام دون أن أتردد.
ظل آدم يراقبني بصمت.
ثم قال مبتسمًا:

«الغريب أنك لم تنظري إلى أسماء التوابل.»
توقفت لحظة. نظرت إلى ما في يدي، ثم قلت باستغراب:
«حقاً؟»
أخذت أتأمل العبوات، ثم ضحكت بخفة.
«يبدو أنني لم أفقد ذاكرتي فقط... بل فقدت معها مهاراتي أيضاً.»
ضحك آدم.
لكن ضحكته كانت قصيرة.
لأنه كان يعلم...
أن ما فعلته لم يكن مصادفة.
بعد العشاء، دخلت إلى المكتبة الصغيرة الموجودة في الطابق الأرضي.
كنت أحب رائحة الكتب، رغم أنني لا أتذكر أنني أحببتها يوماً.
رحت أتمرر أصابعي فوق الرفوف، حتى توقفت يدي وحدها أمام كتاب
قديم ذي غلاف أزرق.
سحبته من مكانه دون أن أعرف لماذا اخترته.
فتحته عشوائياً.
وقرأت بصوتٍ منخفض:
«بعض الحقائق لا تموت... إنها فقط تنتظر من يتذكرها.»
ساد الصمت.

أغلقت الكتاب ببطء.
ثم همست:
«أشعر... وكأنني قرأت هذه العبارة من قبل.»
كان آدم يقف على بُعد خطوات. سمع كلماتي، وتغيرت ملامحه للحظة،
لكنه أخفى ارتبأكه سريعًا.
قال بهدوء:
«ربما مررت بهذا الكتاب قبل الحادث.»
هززت رأسي.
لكنني لم أكن مقتنعة.
وفي اليوم التالي، قررت أن أخرج وحدي للمرة الأولى.
دخلت مكتبة عامة، لعلني أجد بين الكتب شيئًا يمنحني شعورًا بالألفة.
وبينما كنت أتجول بين الرفوف، سمعت صوتًا يناديني:
«آنسة ليان!»
التفت.
كان رجلٌ خمسيني يقف خلف مكتب الاستقبال، يتسم لي بثقة.
قال وهو يقترب:
«ظننت أنك لن تعود إلينا بعد الآن.»
رمقته بحيرة.
«أتعرفني؟»

ضحك الرجل.
«وهل يُعقل أن أنسى الكاتبة التي كانت تحتل هذا الركن كل مساء؟»
توقفت أنفاسي.
«كاتبة؟»
أوما برأسه.
«نعم، ألم تته روايتك الثانية بعد؟ كنت تخبريني دائماً أنك اقتربت من
النهاية.»
شعرت بدوار خفيف.
رواية ثانية؟
أنا لا أتذكر حتى أنني كتبت رواية واحدة.
وفي تلك اللحظة، وصل آدم الذي كان يبحث عني.
ما إن سمع كلام الرجل، حتى قال بسرعة:
«أظن أنك أخطأت بينها وبين شخص آخر.»
نظر الرجل إليه باستغراب.
«مستحيل... أنا متأكد.»
لكن آدم أمسك بيدي بلطف، وقال:
«هيا... لقد تأخر الوقت.»
خرجت معه دون أن أنطق بكلمة.
طوال الطريق، ظل الصمت يرافقنا.
وأخيراً قلت:

«آدم...»

التفت إليّ.

«نعم؟»

نظرت من نافذة السيارة وهمست:

«إن كنت أكتب رواية... فلماذا لا أتذكر منها شيئاً؟»

لم يجب.

أما أنا...

فأدركت للمرة الأولى أن السؤال لم يعد:

"من كنت؟"

بل أصبح:

"ماذا كنت أفعل... قبل أن أنسى؟"

الفصل الثامن

الرواية التي لم أتذكر أنني كتبتها

لم أستطع أن أنام تلك الليلة.

كلما أغمضت عيني، عاد إليّ صوت أمين المكتبة.

"الكاتبة التي كانت تحتل هذا الركن كل مساء..."

كاتبة.

كانت الكلمة غريبة عليّ، لكنها لم تبدُ مستحيلة.

الغريب حقًا... أنني شعرت بالحزن لأنني لا أتذكر شيئًا عنها.

جلست على سريرى أهدق في السقف.
لو أننى كتبت رواية بالفعل، فلا بد أن كل صفحة منها تحمل جزءاً منى.
فكيف يمكن لإنسان أن ينسى شيئاً كتبه بيده؟
فى الصبح، كنت أول من استيقظ.
تناولت فطورى بصمت، ثم نهضت قبل أن تسألنى أمى إلى أين أذهب.
قلت بهدوء:
"سأخرج قليلاً."
رفعت أمى رأسها.
"إلى أين؟"
ترددت للحظة، ثم قلت:
"إلى المكتبة."
شعرت أمى بشيء من القلق، لكنها لم تمنعنى.
اكتفت بالقول:
"عودى باكراً."
وصلت إلى المكتبة فى الوقت نفسه الذى كانت تصل فيه أشعة الشمس
إلى النوافذ الطويلة.
وما إن دخلت، حتى ابتسم أمين المكتبة ابتسامة دافئة.
"ظننت أنك ستعودين."
اقتربت منه مباشرة.

لم أكن أرغب في المجاملات.
قلت:
"أريد أن أعرف كل شيء."
نظر إليّ طويلاً.
ثم تنهد.
"إذن... يبدو أنك بدأت تبحثين."
هزرت رأسي.
"قلت بالأمس إنني كتبت روايتين."
أوماً.
"نعم."
ابتلعت ريقِي.
"أين هما؟"
ساد الصمت للحظات.
ثم فتح الرجل أحد الأدراج، وأخرج بطاقة صغيرة.
ناولني إياها.
كانت بطاقة استعارة.
وفيها اسمي.
ليان.
وتحت عنوان رواية.
لكن المكان المخصص لإعادة الكتاب كان فارغاً.
رفعت عينيّ نحوه.

"أين الكتاب؟"
ابتسم الرجل بأسف.
"ليس هنا."
"كيف؟"
"لأنك لم تتركه عندنا."
عقدت حاجبي.
"ماذا تقصد؟"
قال:
"كنت ترفضين أن يقرأ أحد الرواية قبل أن تنتهي."
ازدادت حيرتي.
"إن كيف تعرف أنها رواية؟"
ضحك بخفة.
"لأنك كنت تحدثيني عنها كل يوم."
توقفت.
"وماذا كنت أقول؟"
أطرق قليلاً، كأنه يستعيد الكلمات.
ثم قال:
"كنت تقولين إن بطلة الرواية..."
رفع نظره إليّ.
"...لا تتذكر اسمها."
تجمدت في مكاني.

لم أنطق.
شعرت بقشعريرة تسري في جسدي كله.
قلت بصوت بالكاد سُمع:
"وماذا أيضاً؟"
أجاب بهدوء:
"كنتِ تقولين إن الجميع يحاولون أن يجعلوها تتذكر."
سكت لحظة.
ثم أضاف:
"لكنها كلما تذكرت شيئاً... اقتربت أكثر من الموت."
انقبض قلبي.
لم أعد أعرف إن كنت أستمع إلى ملخص رواية...
أم إلى حياتي.
خرجت من المكتبة وأنا أحمل البطاقة بين أصابعي.
كنت أمشي ببطء، دون أن أشعر بالناس حولي.
رواية.
بطلة فاقدة للذاكرة.
وجميع من حولها يريدون أن تتذكر.
هل كانت مجرد صدفة؟
أم أنني كنت أكتب الحقيقة...
ثم أخفيتُها داخل قصة؟
في المساء، دخل آدم المنزل.

وجدني أجلس وحدي في الصالون.
كانت البطاقة أمامي.
نظر إليها.
ثم إلى البطاقة.
وعرف فوراً أين كنت.
قال بهدوء:
"ذهبتِ إلى المكتبة."
لم أنظر إليه.
اكتفيت بسؤال واحد.
"هل قرأتِ روايتي؟"
ساد الصمت.
كان طويلاً هذه المرة.
طويلاً بما يكفي لأعرف الإجابة.
رفع رأسه أخيراً.
وقال بصوت خافت:
"كنتُ الوحيد الذي قرأها."
رفعت عينيَّ إليه.
وللمرة الأولى...
شعرت أن الحقيقة أصبحت أقرب مني...
مما ينبغي.

الفصل التاسع

الرواية التي أحرقتها

بقيت أهدق في آدم.

لم أستطع أن أتجاوز الجملة التي قالها.

"كنت الوحيد الذي قرأها."

ابتلعت ريتي.

ثم سألت بهدوء لم يشبه الفوضى التي بداخلي:

"أين هي؟"

لم يجب.

أعدت السؤال.

"أين الرواية؟"

خفض آدم نظره.

ولم يكن صمته هذه المرة تردداً...

بل كان خوفاً.

قال أخيراً:

"لا أستطيع أن أعطيك إياها."

تجمدت.

"لأنها ليست معك؟"

رفع عينيه إليّ.

"بل... لأنها لم تعد موجودة."

شعرت أن الكلمات فقدت معناها.
"ماذا تعني؟"
تنهد طويلاً.
ثم قال:
"لقد أحرقتها."
هزرت رأسي مباشرة.
"مستحيل."
"ليان..."
"أنا لا أفعل أشياء كهذه."
ابتسم ابتسامة قصيرة، لكنها كانت مؤلمة.
"بل فعلت."
نهضت من مكاني.
"لا."
اقترب خطوة.
"أحرقتها بنفسك."
ارتجفت يداي.
"لماذا؟"
ساد الصمت.
ثم قال:
"لأنك كنت تقولين إن الرواية لا يجب أن تقع في يد أحد."

توقفت أنفاسي.
"حتى أنا؟"
نظر إليّ.
"حتى أنت؟"
شعرت وكأن الأرض انسحبت من تحت قدمي.
كيف يمكن لإنسان أن يخاف من كلماته إلى هذا الحد؟
جلست ببطء.
وضعت رأسي بين يدي.
لم أكن أحاول التذكر...
بل كنت أحاول أن أفهم.
قلت بصوتٍ خافت:
"هل... كنت خائفة؟"
أجاب بعد لحظة:
"جداً."
"ممن؟"
"لا أعرف."
رفعت رأسي بسرعة.
"أنت لا تعرف؟"
"كنت ترفضين أن تخبريني."
"لكنك قرأت الرواية."
هز رأسه.

"ولم أفهمها."
نظرت إليه باستغراب.
"كيف؟"
ابتسم ابتسامة باهتة.
"لأنها لم تكن رواية عادية."
"ماذا كانت؟"
تردد.
ثم قال:
"كنت تكتبينها بطريقة غريبة."
ازدادت حيرتي.
"أي طريقة؟"
"كل فصل... كان يبدو كأنه قصة."
سكت لحظة.
"لكن بين السطور..."
نظر إليّ مباشرة.
"...كنت تتركين رسائل."
شعرت بقلبي يخفق بقوة.
"رسائل؟"
"ليست للقارئ."
اقترب أكثر.
"كانت... لك."

تجمدت.
"لي؟"
"نعم."
أغلق عينيه للحظة وكأنه يستعيد شيئاً.
"كنتِ تقولين دائماً..."
توقف.
"...إذا نسيت يوماً، ستقودني كلماتي إليّ."
ساد الصمت.
كانت الجملة كافية لتجعل الدموع تقترب من عيني.
ليس لأنني تذكرت.
بل لأنني أحببت الفتاة التي كانت تفكر بهذه الطريقة.
قلت بصوت مرتجف:
"إذا كانت الرواية احترقت..."
"كيف عرفتَ كل هذا؟"
نظر إليّ.
ثم مد يده إلى جيب معطفه.
أخرج ورقة صغيرة مطوية بعناية.
وضعها أمامي.
"لأن هذا..."
ابتسم لأول مرة منذ بداية الحديث.
"...هو الشيء الوحيد الذي لم تحرقه."

فتحت الورقة ببطء.
كان الخط خطي.
عرفته قبل أن أقرأ حرفاً واحداً.
وفي أعلى الصفحة...
لم يكن هناك عنوان.
بل جملة واحدة فقط.
"إذا كنتَ تقرئين هذه الرسالة... فهذا يعني أن الخطة نجحت."

الفصل العاشر

الخطّة التي نجحت

توقفت عن القراءة.

لم أستطع أن آخذ نفسًا واحدًا.

بقيت أحدّق في السطر الأول:

"إذا كنتَ تقرأين هذه الرسالة... فهذا يعني أن الخطّة نجحت."

أي خطّة؟

ولماذا كانت تنتظر أن تنجح؟

قلبت الورقة بسرعة.

في الجهة الأخرى...

كان هناك سطر واحد فقط:

"لا تثقي..."

ثم...

انتهت الورقة.

الجزء السفلي ممزق.

رفعت رأسي ببطء.

"آدم..."

نظر إليّ.

"ماذا؟"
رفعت الورقة أمامه.
"هل كانت هكذا؟"
اقترب.
تغيرت ملامحه.
أخذ الورقة بين يديه.
ظل ينظر إليها طويلاً.
ثم قال:
"لا."
تجمدت.
"ماذا تعني لا؟"
"الرسالة لم تكن ممزقة."
شعرت بقلبي يهبط.
"كنت قرأتها؟"
هز رأسه.
"لا."
"إذن كيف تعرف؟"
نظر إليّ.
"لأنني رأيتها كاملة."
ساد الصمت.
قلت بصوت خافت:

"ومن مزقها؟"
لم يجب.
بل نظر إلى الورقة مرة أخرى.
ثم همس:
"شخص لا يريدك أن تعرفي ما كتب بعدها."
أرتجفت أصابعي.
"أين بقيتها؟"
رفع عينيه إليّ.
"لا أعلم."
انتزعت الورقة من يده.
"آدم."
"نعم؟"
"هل تخفي عني شيئاً؟"
ابتسم ابتسامة صغيرة.
لكنها لم تكن ابتسامة ارتياح.
بل ابتسامة شخص يعرف أن أي إجابة سيقولها...
ستُفسّر ضده.
قال:
"لو كنت أخفي شيئاً..."
توقف.
"...لما أعطيتك الرسالة."

بقيت أصدق فيه.
كنت أريد أن أصدق.
لكن الجملة الناقصة كانت أقوى.
"لا تثقي..."
لا أثق بمن؟
بأدم؟
بأمي؟
بالجميع؟
خرجت من المنزل دون أن أنطق.
كنت أحتاج إلى الهواء.
إلى الشارع.
إلى أي مكان لا يحمل أسئلة.
وبينما كنت أمشي...
شعرت أن أحداً يسير خلفي.
التفت.
لا أحد.
أكملت طريقي.
عاد الشعور.
التفت مرة أخرى.
رجل يقف بعيداً.
يرتدي معطفاً أسود.

ولم يكن ينظر إلى شيء...
إلا إليّ.
تسارعت دقات قلبي.
أكملت السير بسرعة.
لكنه...
بدأ يمشي أيضاً.
ازدادت خطواتي.
وازدادت خطواته.
دخلت شارعاً جانبياً.
دخل خلفي.
ركضت.
لأول مرة منذ خرجت من المستشفى...
ركضت وأنا لا أعرف إلى أين.
حتى اصطدمت بشخص.
رفعت رأسي.
كان أمين المكتبة.
نظر إليّ بقلق.
"ليان؟"
لم أستطع الكلام.
أشرت بيدي إلى نهاية الشارع.
التفت الرجل.

لكن...
لم يكن هناك أحد.
عاد ينظر إليّ.
"هل أنت بخير؟"
التقطت أنفاسي بصعوبة.
"كان هناك رجل..."
نظر إلى الشارع مرة أخرى.
ثم قال بهدوء:
"تعالى."
دخلت المكتبة.
أغلق الباب.
وأدار المفتاح.
استغربت.
"لماذا أغلقت الباب؟"
لم يجب.
اقترب من أحد الرفوف.
ثم سحب كتاباً قديماً.
وفجأة...
تحرك الرف كله إلى الجانب.
اتسعت عيني.
كان خلفه...

باب.
باب صغير.
لم أكن أعرف بوجوده.
نظر إليّ أمين المكتبة.
ولأول مرة...
اختفت ابتسامته الهادئة.
وقال بصوت لم أسمعه منه من قبل:
"هناك أشياء... لا يجب أن تحفظ بين الكتب."
تجمدت.
ثم أضاف:
"بل تحتها."
ونظر إليّ مباشرة.
"وحان الوقت... لتريها."

الفصل الحادي عشر الغرفة التي لا تعرفها الذاكرة

وقفت أمام الباب الصغير.
كانت أنفاسي أسرع من أفكاري.
نظرت إلى أمين المكتبة.
"ما هذا المكان؟"
أجاب بهدوء:

"مكان كنت تعرفينه أكثر مني."
وضعت يدي على المقبض.
كان بارداً.
بارداً بطريقة جعلت قلبي ينقبض.
فتحت الباب ببطء.
نزلت أول درجة.
ثم الثانية.
ثم الثالثة.
كان الضوء خافتاً.
ورائحة الورق القديم تملأ المكان.
لكنها لم تكن رائحة مكتبة.
كانت رائحة...
غرفة لم يدخلها أحد منذ زمن.
وصلت إلى الأسفل.
كانت الغرفة صغيرة.
وفي منتصفها...
طاولة خشبية.
فوقها آلة كاتبة قديمة.
وبجانبتها...
كومة أوراق.
اقتربت ببطء.

مددت يدي.
لامست الآلة.
وفي اللحظة التي فعلت فيها...
شعرت بقشعريرة تسري في جسدي.
ولأول مرة منذ فقدت ذاكرتي...
عاد إليّ شيء.
ليس ذكرى.
بل إحساس.
إحساس بأنني جلست هنا...
مرات لا تحصى.
همست دون أن أشعر:
"كنت أكتب هنا..."
رفع أمين المكتبة رأسه.
"نعم."
استدرت نحوه بسرعة.
"كيف تعرف؟"
ابتسم.
"لأنني كنت أراك كل ليلة."
اقتربت من الطاولة أكثر.
كانت الأوراق فارغة.
إلا من ورقة واحدة.

في وسطها.
كأن أحداً تركها عمداً.
التقطتها.
كان مكتوباً عليها بخطي:
"إذا وصلتِ إلى هنا...
فهذا يعني أن أحدهم أخطأ."
اتسعت عيني.
"أخطأ؟"
تابعت القراءة:
"لأن هذا المكان...
لم يكن من المفترض أن تجديه أبداً."
ارتجفت يدي.
أكملت:
"إذا كنتِ هنا الآن...
فمعنى ذلك أن الخطة لم تنجح بالكامل."
توقفت.
شعرت بأنفاسي تختفي.
"ما الذي فشل؟"
لكن الورقة انتهت.
لا شيء بعدها.
رفعت رأسي ببطء.

"أين بقية الصفحات؟"
لم يجب أمين المكتبة.
بل نظر إلى زاوية الغرفة.
اتبعت نظره.
كان هناك صندوق حديدي صغير.
اقتربت منه.
وجدت عليه قفلاً.
لكن القفل لم يكن عادياً.
لم يكن يحتاج إلى مفتاح.
بل إلى...
بصمة.
وضعت يدي عليه دون تفكير.
أصدر القفل صوتاً قصيراً.
ثم...
أضاء ضوء أخضر.
تراجعت خطوة.
"كيف...؟"
ابتسم أمين المكتبة.
"قلت لك..."
"كنت تعرفين هذا المكان."
صدر صوت خافت.

بدأ الصندوق يُفتح ببطء.
ارتفع الغطاء.
حبست أنفاسي.
داخل الصندوق...
لم تكن هناك أوراق.
ولا رواية.
ولا صور.
كان هناك...
هاتف.
هاتف قديم.
مغلق.
وعليه ورقة صغيرة.
كتبت عليها بخطي:
"لا تشغليه..."
إلا إذا كنت مستعدة لأن تعرفي من أنت.

الفصل الثاني عشر

الهاتف الذي يعرفني أكثر مني
بقيت أهدق في الهاتف.
لم أستطع أن أمد يدي نحوه.
كنت أشعر أن كل ما أبحث عنه...

يقف أمامي.
لكنني كنت أخاف أن ألمسه.
قال أمين المكتبة بهدوء:
"ليس عليك أن تفتحيه."
نظرت إليه.
"لكنه لي."
"أعرف."
"إذن من حقي أن أعرف."
ابتسم بحزن.
"وهذا أكثر ما كنت تخافينه."
أنزلت نظري إلى الورقة مرة أخرى.
"لا تشغليه... إلا إذا كنت مستعدة لأن تعرفي من أنت."
همست:
"ربما أنا مستعدة."
مددت يدي.
أخذت الهاتف.
ضغطت زر التشغيل.
مرت ثوان.
ثم...
اهتز الهاتف.
ظهرت الشاشة.

لم يكن هناك رمز.
ولا كلمة مرور.
فتح مباشرة.
اتسعت عيني.
كانت الخلفية...
صورة لي.
لكنني لم أكن وحدي.
وقفت أتأملها.
أنا...
ورجل.
لم يظهر وجهه.
كان خارج إطار الصورة.
كل ما ظهر منه...
يده.
كانت يده تمسك يدي.
رفعت رأسي بسرعة.
"من هذا؟"
هز أمين المكتبة رأسه.
"لا أعرف."
شعرت بالإحباط.
بدأت أتصفح الهاتف.

لا صور.
لا رسائل.
لا تطبيقات.
كأنه هاتف جديد.
قلت باستغراب:
"فارغ."
ثم...
ظهر إشعار.
دون أن يلمس أحد الهاتف.
رسالة جديدة.
تجمدت.
فتحتها.
لم يكن هناك رقم.
ولا اسم.
فقط كلمة واحدة:
"أخيراً."
ارتجفت.
ثم ظهرت رسالة ثانية:
"استغرقت وقتاً أطول مما توقعت."
بدأت أنفاسي تتسارع.
كتبت بسرعة:

"من أنت؟"
اختفت الرسالة.
ظهرت ثلاث نقاط...
كأن الطرف الآخر يكتب.
ثم وصلت الإجابة:
"أنا الشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة."
شعرت ببرودة تسري في أطرافي.
كتبت:
"من تكون؟"
جاء الرد فوراً:
"هذا ليس السؤال الصحيح."
ازدادت ضربات قلبي.
"إذاً ما السؤال الصحيح؟"
انتظرت.
ثانية.
ثانيتين.
ثم...
وصلت رسالة واحدة.
كانت أقصر رسالة قرأتها في حياتي.
لكنها كانت كافية لتقلب كل شيء:
"لماذا دفنت نفسك وأنت ما زلت حية؟"

سقط الهاتف من يدي.
تراجعت خطوة.
شعرت أن الغرفة تدور بي.
رفع أمين المكتبة الهاتف عن الأرض.
نظر إلى الشاشة.
لكن...
لم يرَ شيئاً.
قطب حاجبيه.
"عن أي رسالة تتحدثين؟"
رفعت رأسي نحوه.
"ألا تراها؟"
أدار الشاشة إليّ.
كانت المحادثة...
فارغة.
لا توجد أي رسالة.
ولا أي أثر لما قرأته قبل لحظات.
تراجعت أكثر.
"لا..."
همست.
"لقد كانت هنا."
نظر إليّ أمين المكتبة بقلق.

"ليان..."
لكنني لم أكن أسمعه.
كنت أنظر إلى الهاتف.
وفجأة...
اهتز مرة أخرى.
ظهرت رسالة جديدة.
لكن هذه المرة...
لم تكن موجهة إليّ.
بل كانت تحمل اسمًا واحدًا.
"آدم."

الفصل الثالث عشر

الرسالة التي لم يكن من المفترض أن تفتح
بقيت أهدق في الاسم.
"آدم."
شعرت بأن قلبي يسبق أنفاسي.
رفعت الهاتف ببطء.
ضغطت على الرسالة.
ظهر سطر واحد فقط:
"لا تدعيه يعرف أنك وصلت إلى الهاتف."

اتسعت عيناى.
رفعت رأسى مباشرة.
كان آدم...
غير موجود.
تذكرت.
لقد خرج صباحاً.
تنفست ببطء.
ثم كتبت:
"لماذا؟"
ظهرت النقاط الثلاث.
ثم اختفت.
ثم عادت.
وكان الطرف الآخر متردد.
وأخيراً...
وصل الرد:
"لأنه سىحاول أن يمنعك."
شعرت بالغضب.
كتبت بسرعة:
"من ماذا؟"
هذه المرة...
لم يصل جواب.

انتظرت.
ثانية.
ثم دقيقتين.
ثم خمس.
لا شيء.
أغلقت الهاتف.
ونظرت إلى أمين المكتبة.
"أريد أن أذهب."
نظر إليّ باستغراب.
"إلى أين؟"
قلت دون تردد:
"إلى آدم."
كان آدم يجلس في الحديقة الصغيرة أمام منزله.
يحمل كتابًا بين يديه.
لكن عينيه لم تكونا على الصفحات.
كان شاردًا.
رفع رأسه عندما سمع خطواتي.
ابتسم.
"عدت."
لم أبتسم.
وقفت أمامه.

وأخرجت الهاتف.
"أتعرف هذا؟"
تغير وجهه.
لثانية واحدة فقط.
لكنه تغير.
ولاحظت ذلك.
"من أين حصلت عليه؟"
"من الغرفة."
ساد الصمت.
"أي غرفة؟"
"لا تمثل."
تجمد.
"ليان..."
"كنت تعرف."
لم يجب.
اقتربت خطوة.
"كنت تعرف أن هناك غرفة."
ظل صامتًا.
"وكنت تعرف أن هناك هاتفًا."
خفض رأسه.
وهنا...

قال لأول مرة:

"نعم."

شعرت وكأن أحداً صفعني.

"وأخفيت عني؟"

"كنت أنفذ وعداً."

"وعداً لمن؟"

نظر إليّ.

"لكّ."

ضحكت.

لكنها لم تكن ضحكة.

كانت خيبة.

"كفى."

"ليان..."

"كل شخص أعرفه يقول إنه فعل كل شيء لأجلي."

اقترب أكثر.

"لأن هذا صحيح."

هزرت رأسي.

"لا."

رفعت الهاتف أمامه.

"إذا كان صحيحاً..."

فتحت الرسالة.

ثم أدت الشاشة نحوه.
"اقرأ."
نظر.
طويلاً.
ثم رفع عينيه إليّ.
"لا يوجد شيء."
توقفت.
"ماذا؟"
"الشاشة فارغة."
نظرت بسرعة.
كانت الرسالة...
ما تزال موجودة.
حدقت فيه.
ثم في الهاتف.
ثم عدت إليه.
"أنت تكذب."
"أقسم أنني لا أرى شيئاً."
تراجعت خطوة.
بدأ الشك يأكلني.
هل هو يكذب؟
أم...

الرسائل فعلاً لا تظهر إلا لي؟
وفي اللحظة نفسها...
اهتز الهاتف مرة أخرى.
رسالة جديدة.
فتحتها بسرعة.
هذه المرة...
لم تكن جملة.
بل صورة.
صورة قديمة.
ليان.
آدم.
وشخص ثالث.
لكن...
وجه الشخص الثالث...
كان ممزقاً بالكامل.
وكأن أحداً تعمد إخفاء هويته.
أسفل الصورة...
كانت هناك أربع كلمات فقط:
"ابحثي عن الشخص الناقص."
رفعت رأسي ببطء.
لكن آدم...

لم يكن أمامي.
اختفى.
كأنه غادر أثناء انشغالي بالصورة.
التفت حولي.
لم يكن في الحديقة.
ولا في الشارع.
ولا حتى عند الباب.
اختفى...
للمرة الثانية.

الفصل الرابع عشر

الشخص الذي يشبهني

بقيت أدور في الشارع.

كنت أنادي باسمه:

"آدم!"

لا أحد أجاب.

وكان الأرض ابتلعتة.

نظرت إلى الصورة مرة أخرى.

أنا.

آدم.

والشخص الثالث.

ذلك الوجه الممزق.

همست:

"من أنت؟"

لكن السؤال الحقيقي لم يكن موجّهًا للصورة...

بل لنفسِي.

عدت إلى المنزل قبل الغروب.

كانت أُمِّي تنتظرني عند الباب.

ما إن رأَتني حتى اقتربت مني.

"أين كنت؟"

لم أجب.
دخلت مباشرة إلى غرفتي.
أغلقت الباب.
وأخرجت الصورة.
وضعتها أمامي.
حدقت طويلاً.
ثم حدث شيء لم أتوقعه.
كانت هناك بقعة صغيرة في طرف الصورة.
كأنها أثر قلم.
اقتربت أكثر.
ثم أمسكت عدسة صغيرة كانت على مكتبي.
نظرت من خلالها.
لم تكن بقعة.
بل...
حرف.
حرف واحد فقط.
(ن)
عبست.
قلبت الصورة.
وفي الخلف...
وجدت شيئاً لم ألاحظه من قبل.

كتابة باهتة جداً.
تكاد لا ترى.
قرأت بصعوبة:
"إذا ضاع الوجه... فابحثي عن الاسم."
شعرت بقشعريرة.
الاسم؟
أي اسم؟
وقبل أن أكمل التفكير...
سمعت إشعار الهاتف.
رسالة جديدة.
فتحتها بسرعة.
لكن هذه المرة...
لم يكن هناك كلام.
فقط...
إحداثيات.
وموعد.
الساعة 11:30 مساءً.
رفعت رأسي نحو النافذة.
كانت الساعة...
الحادية عشرة وعشر دقائق.
تبقى عشرون دقيقة فقط.

خرجت دون أن أخبر أحداً.
اتبعت الإحداثيات.
كان المكان...
محطة قطار قديمة.
مهجورة.
وصلت وأنا ألّهث.
لا أحد.
إلا صوت الريح.
ظننت أنني خُذعت.
لكنني سمعت صوتاً خلفي:
"تأخرت."
استدرت بسرعة.
رجل يقف في الظل.
لم أستطع رؤية وجهه.
قلت بصوت مرتجف:
"من أنت؟"
ابتسم.
"الغريب..."
خطا خطوة إلى الأمام.
"...أنك سألت السؤال الخطأ للمرة الثانية."
تجمدت.

كانت الجملة...
هي نفسها التي قرأتها في الهاتف.
اقترب أكثر.
ثم قال:
"كان يجب أن تسألني..."
توقف.
"...من أنا بالنسبة لك."
شعرت بأن قلبي سيتوقف.
قلت بصعوبة:
"هل... أعرفك؟"
ضحك.
ضحكة قصيرة.
لكنها لم تكن مريحة.
"بل..."
رفع يده.
وأشار إلى قلبي.
"...أنت من صنعتني."
تراجعت خطوة.
"ماذا؟"
وقبل أن أنطق بكلمة أخرى...
أضاءت أنوار المحطة فجأة.

ثانية واحدة فقط.
كانت كافية.
رأيت وجهه.
وتجمد الدم في عروقي.
لأن الرجل...
كان يشبهني.
ليس قليلاً...
بل بشكل مرعب.
كأنني أنظر إلى نسخة أخرى من نفسي.
ثم...
انطفأت الأنوار.
واختفى.

الفصل الخامس عشر

الوجه الذي لم يكن موجوداً
استيقظت وأنا لا أعرف إن كنت نمت فعلاً أم أنني فقط أغمضت عيني.
كل ما حدث في المحطة كان يعود إلي.
الوجه.
الصوت.
والجملة الأخيرة:

"أنتِ من صنعتيني."
جلست على السرير.
وضعت يدي على رأسي.
"مستحيل..."
قلتها بصوت مرتفع.
لكن جزءاً صغيراً داخلي...
لم يكن مستغرباً.
وهذا كان أكثر شيء أخافني.
لو كان الأمر غريباً فقط، لرفضته.
لكن الشعور الذي جاءني عندما رأيته...
كان شعوراً آخر.
شعور شخص أعرفه دون أن أتذكره.
فتحت هاتفي.
كنت أنتظر أن أجد شيئاً.
رسالة.
صورة.
أي دليل.
لكن الهاتف كان فارغاً.
كأن كل ما حدث لم يكن موجوداً.
أغلقت الشاشة.
ثم توقفت.

ظهر انعكاس وجهي عليها.
وللحظة...
شعرت أن هناك شيئًا مختلفًا.
ليس في شكلي.
بل في نظرتي.
كأن عينيّ تعرفان سرًّا لم يصل إلى عقلي بعد.
في الظهر، عدت إلى المكتبة.
كان أمين المكتبة يرتب الكتب عندما دخلت.
رفع رأسه.
ولم يحتج إلى سؤال.
عرف من وجهي أن شيئًا حدث.
قال:
"رأيت شيئًا."
لم أجبه.
وضعت الصورة أمامه.
نظر إليها.
ثم تغير وجهه.
"من أين حصلت عليها؟"
لاحظت التغير.
"أنت تعرفها."
صمت.

"أليس كذلك؟"
أعاد الصورة إلى الطاولة.
وقال:
"ليان..."
"لا."
قاطعته.
"هذه المرة أريد الحقيقة."
تنهد.
ثم جلس.
"قبل أن تفقدي ذاكرتك..."
توقفت.
"قبل؟"
أوماً.
"كنت تبحثين عن شخص."
"من؟"
نظر إلى الصورة.
"عن شخص كنت تقولين إنه اختفى."
شعرت بقلبي ينقبض.
"اختفى؟"
"نعم."
"ومن هو؟"

سكت طويلاً.
ثم قال:
"المشكلة..."
رفع عينيه إليّ.
"...أنك لم تكوني تبحثين عنه لأنك تشتاقيين إليه."
تجمدت.
"إذاً لماذا؟"
أجاب:
"لأنك كنت تخافين منه."
ساد الصمت.
كانت الكلمات أثقل من أن تفهم.
"كنت أخاف من شخص يشبهني؟"
لم يجب.
بل أخرج من درج مكتبه ملقاً قديماً.
وضعه أمامي.
كان عليه اسمي.
ليان.
فتحت الملف.
في الداخل...
لم تكن هناك أوراق.
بل صورة واحدة.

صورة لي.
لكنها كانت مختلفة.
كنت أبتسم.
وبجانبى...
كان يقف الشخص نفسه.
لكن هذه المرة...
وجهه لم يكن ممزقاً.
وكانت هناك كتابة خلف الصورة.
قرأت:
"أنا وأنت... لا يجب أن نتذكر."
رفعت رأسي بسرعة.
"من كتب هذا؟"
نظر إليّ أمين المكتبة.
وقال:
"أنت."
شهقت.
"أنا؟"
أوماً.
ثم أضاف:
"وهذا ليس أسوأ شيء."
"ما الأسوأ؟"

فتح صفحة أخيرة من الملف.
وكان فيها تاريخ.
تاريخ قبل يوم فقداني للذاكرة.
ثم قال:
"أنك لم تكوني وحدك التي فقدت الذاكرة في ذلك اليوم."

الفصل السادس عشر

الشخص الذي نسي معي
بقيت أصدق بأمين المكتبة.
لم أستطع أن أستوعب الجملة.
"أنك لم تكوني وحدك التي فقدت الذاكرة في ذلك اليوم."
شعرت أن كل شيء توقف.
"من؟"
لم يجب.
اقتربت منه.
"من فقد ذاكرته معي؟"
نظر إلى الملف أمامه.
ثم قال:
"لا أعرف إن كان يجب أن أخبرك."

ضحكت بمرارة.
"الجميع يقولون هذا."
"لأنهم خائفون."
"وأنا؟"
نظر إليّ.
"أنت أكثر شخص كان خائفًا."
ساد الصمت.
مددت يدي نحو الملف.
"أريد أن أعرف."
هذه المرة...
لم يمنعني.
فتحت الصفحة الأخيرة.
كان هناك تقرير قديم.
اسمي في الأعلى.
وتحته...
اسم آخر.
لكن الاسم كان مطموسًا.
كأن أحدهم حاول محوه.
حدقت به.
"لماذا الاسم غير واضح؟"
قال أمين المكتبة:

"لأنك أنت من محوته."
تراجعت.
"أنا؟"
أوماً.
"قبل أن تفقدي ذاكرتك بأيام، طلبت مني شيئاً."
"ماذا؟"
نظر إليّ.
"قلت لي: إذا حدث لي شيء، لا تجعل أحداً يصل إلى هذا الاسم."
شعرت ببرودة تسري في جسدي.
"لماذا؟"
خفض عينيه.
"لم تقولي."
سكت لحظة.
"لكنني رأيت الخوف في وجهك."
خرجت من المكتبة وأنا أحمل نسخة من الصفحة.
لم أكن أعرف إلى أين أذهب.
كل الطرق أصبحت تؤدي إلى أسئلة.
آدم.
الرجل الذي يشبهني.
الرواية.

الهاتف.
والاسم المفقود.
دخلت مقهى صغيراً وجلست وحدي.
أخرجت الورقة.
حاولت أن أرى الاسم.
لكن الحبر الممسوح لم يترك إلا ثلاثة أحرف:
"آد..."
توقفت.
شعرت بأن قلبي انقبض.
آدم؟
هل كان هو؟
هل كان آدم هو الشخص الذي فقد ذاكرته معي؟
أم...
هل كنت أحاول فقط أن أربط كل شيء به؟
وفجأة...
رن الهاتف.
رقم مجهول.
نظرت إلى الشاشة.
ترددت.
ثم أجبت.
لم أسمع شيئاً في البداية.

فقط...
أنفاس.
ثم جاء صوت.
صوت أعرفه.
لكنني لم أعرف من أين.
قال:
"لا تبحثي عن اسمي."
تجمدت.
"من أنت؟"
صمت.
ثم قال:
"لأنك عندما تعرفين من أنا..."
توقف.
"...ستعرفين لماذا نسيت."
بدأ قلبي يخفق بسرعة.
"أين أنت؟"
جاء الرد:
"في المكان الذي تركتني فيه."
"أين؟"
لكن الخط انقطع.
وفي نفس اللحظة...

اهتز هاتفى.
وصلت صورة.
ليست صورة جديدة.
بل صورة قديمة.
صورة من يوم فقدان الذاكرة.
كنت فيها.
أقف أمام مبنى مهجور.
وبجانبي...
الشخص نفسه الذي يشبهني.
لكن هذه المرة...
كان هناك شيء مختلف.
كنت أمسك بيده.
وفي يدي الأخرى...
كان هناك شيء صغير.
ورقة.
كبّرت الصورة.
اقتربت أكثر.
تجمدت.
لأن الورقة كانت تحمل عنوانًا.
عنوان الرواية التي لم أتذكر أنني كتبتها.
لكن تحت العنوان...

كان هناك اسم الكاتب.
ولم يكن:
ليان.
كان اسمًا آخر.
"نحن الاثنان."

الفصل السابع عشر

الأشياء التي تركتها لبيان لنفسها

«ربما لم تكن ليان القديمة تحاول أن تجعلني أجد الحقيقة... بل كانت

تحاول أن تجعلني أجد نفسي.»

لم أستطع أن أتحرك. كانت المرأة أمامي تشبهني، ليس فقط في الشكل، بل في الطريقة التي وقفت بها، وفي نظرتها، وفي ذلك الهدوء الغريب الذي جعلني أشعر بأنني أمام شخص أعرفه منذ زمن طويل.

قلت بصوت مرتجف:

"من أنت؟"

بقيت المرأة صامتة للحظات، ثم ابتسمت بحزن.

"كنت أعرف أنك ستسألين هذا السؤال."

تراجعت خطوة.

"كيف؟"

نظرت إليّ.

"لأنك كنت ستسألينه دائماً."

شعرت بالضيق.

"أنا لا أفهم."

تنهدت المرأة.

"أعرف."
اقتربت ببطء، لكنها توقفت عندما رأت الخوف في عيني، وقالت:
"لا تخافي مني."
ضحكت بخفة، وكانت ضحكة مليئة بالتوتر.
"من السهل قول ذلك عندما تكونين واقفة أمامي وتشبهيني."
ساد الصمت.
ثم قالت المرأة:
"لأنني لا أشبهك."
توقفت للحظة، ثم أضافت:
"أنا أذكرُ."
لم أفهم الجملة، لكنني شعرت أنها مهمة.
جلست المرأتان في المحطة القديمة. ولأول مرة، لم أكن أحاول الهرب من
الأسئلة. كنت أحاول الاستماع.
قلت:
"هل كنتِ معي يوم فقدتِ ذاكرتي؟"
نظرت المرأة إلى الأرض.
"نعم."
"ومن أنت؟"
ترددت.

"شخص كنت تثقين به."
"لماذا لا أتذكرك؟"
ابتسمت بحزن.
"لأنك طلبت ألا تتذكري."
شعرت بالانزعاج.
"الجميع يقولون هذا."
"لأنك كنت مصرة."
رفعت حاجبي.
"كنت أنا من طلب النسيان؟"
أومأت المرأة.
"نعم."
سكت. كانت هذه المعلومة مختلفة، لأنني لأول مرة لم أسمع: "حدث لك شيء." بل: "أنت اخترت شيئاً."
قلت بهدوء:
"لماذا؟"
نظرت إليّ طويلاً.
"لأنك عرفت شيئاً لم تكوني مستعدة لتحمله."
"ما هو؟"
خفضت نظرها.
"ليس المهم ماذا عرفت."
ثم رفعت عينيها إليّ وقالت:

"المهم لماذا قررت أن تحمي نفسك منه."
بقيت صامتة.
أخرجت المرأة دفترًا صغيرًا ووضعتة أمامي.
تجمدت.
كان نفس الدفتر الذي رأيته في غرفتي، لكن هذا كان مختلفًا. قديمًا،
وممتلئًا بالكتابة.
قالت المرأة:
"هذا ليس دفتر أسرار."
فتحت الصفحة الأولى.
كان مكتوبًا:
"إلى ليان التي ستأتي بعدي..."
توقفت.
أكملت القراءة:
"إذا وصلت إلى هنا، فهذا يعني أنك لم تثقي بالآخرين فقط..."
ثم:
"بل بدأت تثقين بنفسك."
شعرت بشيء يضغط في صدري.
لم تكن رسالة من شخص آخر.
كانت رسالة مني.
إليّ.

قالت المرأة:
"ليان القديمة لم تكن تريد أن تختفي."
نظرت إليها.
"إذاً ماذا كانت تريد؟"
ابتسمت.
"كانت تريد فرصة."
"لماذا؟"
أجابت:
"لتبدأ من جديد."
نظرت إلى الدفتر.
ولأول مرة منذ استيقظت في المستشفى، لم أشعر أنني أحاول استعادة
شخص غريب. شعرت أنني ألتقي بنفسي.
قبل أن أغادر، سألتها:
"هل آدم يعرف عنك؟"
توقفت المرأة، ثم قالت:
"آدم يعرف أكثر مما أخبرك."
"هل أثق به؟"
ابتسمت المرأة.
"هذا السؤال..."
نظرت إليها.

"لا يجب أن تجيبي عليه لأنني أخبرتك."
سكتت، ثم أضافت:
"يجب أن تجيبي عليه لأنك تعرفين آدم."
بقيت الجملة في عقلي.
عدت إلى المنزل تلك الليلة. وضعت الدفتر بجانبني، ولم أفتحه.
لم أكن مستعدة بعد.
لكنني لم أعد خائفة منه.
نظرت إلى النافذة وفكرت:
ربما لم تكن ليان القديمة تحاول أن تجعلني أجد الحقيقة.
ربما كانت تحاول أن تجعلني أجد نفسي.
وفي مكان ما...
كانت هناك إجابات تنتظرني.
لكن هذه المرة...
لن أركض خلفها.
سأذهب إليها عندما أكون مستعدة.

الفصل الثامن عشر: المكان الذي تذكرني
«أحيانًا لا تحتاج الذاكرة إلى أن تعود... يكفي أن يعود إليها المكان.»
في صباح اليوم التالي، استيقظت وأنا أشعر أن شيئًا ما تغير.
لم يكن في الغرفة شيء مختلف، ولم تكن هناك رسالة جديدة، ولا صورة
غامضة، ولا صوت يناديني من مكان بعيد.
كان التغيير في داخلي.
للمرة الأولى، لم أشعر بأنني مضطرة إلى معرفة كل شيء.
كان الدفتر بجانبني.
نظرت إليه طويلاً، ثم مددت يدي نحوه، لكنني لم أفتحه.
كنت أعرف أن داخله أشياء كثيرة عني، وربما أشياء لا أستطيع تحملها
بعد.
لكنني تذكرت كلام المرأة.
«يجب أن تجيبي عن أسئلتك لأنك تعرفين آدم.»
وهذه الجملة بقيت معي منذ الليلة الماضية.
نهضت من سريرتي، وذهبت إلى المطبخ.
كانت أُمي تحضر القهوة.

ما إن رأني حتى ابتسمت.
«استيقظت مبكرًا.»
جلستُ أمامها.
«أمي...»
توقفت يدها للحظة.
«نعم؟»
نظرت إليها.
كنت أريد أن أسألها عن المرأة.
عن الهاتف.
عن الرجل الذي يشبهني.
عن آدم.
لكنني لم أسأل شيئًا من ذلك.
قلت فقط:
«أين كنتُ أحب أن أذهب عندما أريد أن أكون وحدي؟»
بقيت تنظر إليّ.
ثم قالت بهدوء:
«لماذا تسألين؟»
«لأنني أريد أن أذهب إلى هناك.»
تنهدت.
وبدت وكأنها تعرف أن هذا اليوم سيأتي.
«كان هناك مكان واحد.»

«أين؟»
أعطتني اسم المكان.
لم يكن مألوفًا.
لكن بمجرد أن سمعته، شعرت بشيء يتحرك داخلي.
لم تكن ذكرى.
بل إحساس.
كأن الكلمة لم تكن جديدة تمامًا.
خرجت بعد ساعة.
لم أخبر آدم.
ولم أطلب من أمي أن ترافقني.
كنت أريد أن أذهب وحدي.
وصلت إلى المكان بعد وقت قصير.
كان بيتًا قديمًا عند أطراف المدينة، محاطًا بأشجار عالية وسور حجري.
وقفت أمام البوابة.
لم أعرف لماذا شعرت أن قدمي تعرفان الطريق أكثر مني.
دفعت البوابة.
انفتحت بسهولة.
دخلت.
كانت الحديقة مهجورة قليلًا، لكن بعض الأشياء بقيت

كما هي.
مقعد خشبي.
نافذة واسعة.
وشجرة كبيرة في المنتصف.
توقفت.
وضعت يدي على صدري.
لم أعرف لماذا.
ثم مشيت نحو الشجرة.
جلست تحتها.
وفجأة...
جاءتني صورة.
سريعة جداً.
أنا هنا.
أجلس على الأرض.
وفي يدي دفتر.
وشخص يجلس أمامي.
لم أرَ وجهه.
لكنني سمعت صوتاً.
صوتي.
«إذا حدث لي شيء... لا تدعهم يجعلونني أعود.»
شهقت.

وضعت يدي على رأسي.
ثم اختفت الصورة.
بقيت أهدق أمامي.
كنت أتنفس بسرعة.
هذه المرة لم يكن شعورًا بالألفة.
كانت ذكرى.
صغيرة.
واضحة.
وحقيقية.
سمعت خطوات خلفي.
استدرت بسرعة.
كان آدم.
وقف بعيدًا عني.
لم يتقدم.
ولم يسألني ماذا حدث.
فقط نظر إليّ.
قلت:
«كنت تعرف.»
لم ينكر.
«نعم.»
«كنت تعرف أنني سأأتي إلى هنا.»

«كنت أعرف أنك قد تأتين.»
نهضت.
«لماذا لم تمنعني؟»
نظر إلى الشجرة.
«لأنني وعدتك ألا أمنعك من شيء عندما تكونين مستعدة.»
توقفت.
«وأنا الآن مستعدة؟»
نظر إليّ.
«لا أعرف.»
ضحكت بمرارة.
«دائمًا لا تعرف.»
اقترب خطوة.
«هذه المرة أعرف شيئًا واحدًا.»
«ماذا؟»
قال:
«أنك لم تكوني تريدين أن تنسي كل شيء.»
سكتُ.
«بل كنت تريدين أن تنسي شخصًا واحدًا.»
شعرت ببرودة في جسدي.
«من؟»

لم يجب.
«آدم.»
خفض عينيه.
«لا أستطيع أن أقول.»
«لماذا؟»
«لأنك أنت من طلبت مني ألا أقول.»
حدقت فيه.
«هل كان الشخص الذي يشبهني؟»
رفع رأسه بسرعة.
ولأول مرة، لم أحتج إلى أن يسكت حتى أعرف الإجابة.
قلت:
«كان هو.»
لم يقل شيئاً.
اقتربت منه.
«من يكون؟»
تنهد.
«كان أقرب شخص إليك.»
«وأنت؟»
توقف.
«أنا ماذا؟»
«أين كنت في كل هذا؟»

نظر إليّ طويلاً.
ثم قال:
«كنتُ أحاول حمايتك منه.»
«لكن لماذا كان معي؟»
صمت.
«ولماذا كنتُ أمسك يده؟»
تغير وجهه.
عرفت أنني أصبت بشيء لم يكن يريد الوصول إليه.
«أنت رأيت الصورة.»
«نعم.»
«إذن رأيت أن الصورة كانت من قبل الحادث.»
«وماذا يعني ذلك؟»
لم يجب فوراً.
ثم قال:
«يعني أنك في ذلك اليوم لم تكوني تحاولين الهرب منه.»
توقفت.
«كنتِ تحاولين إنقاذه.»
شعرت أن الأرض ثابتة تحت قدمي، لكن شيئاً في داخلي هو الذي بدأ
يهتز.
«إنقاذه من ماذا؟»

نظر إلى المكان حولنا.
ثم عاد ينظر إليّ.
«منك.»
لم أفهم.
«ماذا تعني؟»
قال بهدوء:
«أنت لم تكوني تخافين منه يا ليان.»
توقف لحظة.
«كنت تخافين مما يمكن أن تفعله به.»
لم أستطع الرد.
وبينما كنت أحاول فهم كلامه، سقط شيء من أعلى الشجرة.
ورقة صغيرة.
نظرت إليها.
التقطتها.
كان عليها سطر واحد بخطي.
قرأته بصوت منخفض:
«إذا وصلت إلى هنا مع آدم... فهذا يعني أنني أخيراً تذكرت.»
رفعت عيني إليه.
«أنا كتبت هذا؟»

أوماً.
«نعم.»
«وماذا تذكرت؟»
نظر إليّ، وبدأ عليه التردد.
ثم قال:
«ليس كل شيء.»
سكت.
«لكن ما يكفي لتعرفي لماذا اخترت النسيان.»
نظرت إلى الورقة في يدي.
وللمرة الأولى، لم أشعر بالخوف من الماضي.
شعرت بالخوف من نفسي.
لأنني بدأت أفهم أن ليان القديمة لم تكن ضحية لكل ما حدث.
ربما كانت تعرف أكثر مما أعرف.
وربما...
كانت هي الشخص الوحيد الذي حاول أن يحميني مني.

الفصل التاسع عشر: الحقيقة التي أخفاها آدم
«أحياناً لا تكون الحقيقة مخيفة لأنها مؤلمة، بل لأنها تجعل كل ما ظننته
صحيحاً يبدو كذبة.»
بقيتُ أنظر إلى الورقة في يدي.
«أنا كتبت هذا؟»
قال آدم بهدوء: «نعم.»
رفعت عيني إليه.
«إذن قل لي كل شيء.»
سكت.
«هذه المرة لا أريد نصف الحقيقة.»
بقي ينظر إليّ طويلاً، ثم جلس تحت الشجرة.
«حسناً.»
جلست أمامه.
وللمرة الأولى، لم يحاول الهرب من أسئلتني.
قال:
«قبل الحادث بأشهر، بدأتُ تبحثين عن شخص.»
«الشخص الذي يشبهني؟»
أوماً.
«اسمه كان... آدم.»

تجمدت.
نظرت إليه.
«ماذا؟»
قال بسرعة: «ليس أنا.»
شعرت بأنفاسي تتوقف.
«كان هناك شخص آخر يحمل اسمي.»
«ومن كان؟»
خفض رأسه.
«أخوك.»
لم أفهم الكلمة.
أخي؟
أنا لا أتذكر أن لدي أخًا.
قال آدم: «كنتَ تقولين دائماً إنك لا تريدين أن يعرف أحد بوجوده.»
«لماذا؟»
«لأن علاقتهما لم تكن عادية.»
«كيف؟»
تنهد.
«كان هناك شيء حدث بينكما. شيء جعلك تخافين عليه وتخافين منه
في الوقت نفسه.»
حدقت فيه.

«ماذا حدث؟»
صمت للحظة.
ثم قال:
«اكتشفت أنه كان يتعرض لشيء خطير، وبدأت تبحثين عن طريقة
لإخراجه منه.»
«ومن ماذا؟»
«مجموعة من الأشخاص كانوا يستغلونه.»
شعرت بقشعريرة.
«وأنا؟»
«أنت حاولت مساعدته.»
«فماذا حدث؟»
نظر إليّ.
«اكتشفوا أنك تعرفين.»
ساد الصمت.
بدأت أستوعب شيئاً فشيئاً.
«لهذا كتبت الرواية؟»
«نعم.»
«كنت أضع الحقيقة داخلها؟»
«كنت تكتبين كل شيء بطريقة لا يفهمها إلا أنت.»
«ثم حرقتها.»
«لأنك أدركت أن أحداً وصل إليها.»

تذكرت الورقة.
«الخطئة.»
أوماً.
«الخطئة كانت أن تجعلي الجميع يعتقدون أنك فقدت ذاكرتك.»
نظرت إليه.
«لكنني فعلاً فقدتها.»
«نعم.»
سكت.
«كيف؟»
نظر إلى الأرض.
«لم يكن حادثاً عادياً.»
شعرت بقلبي ينقبض.
«ماذا حدث؟»
قال بصوت خافت:
«كنت تحاولين الهرب معه.»
«مع أخي؟»
«نعم.»
«وفي تلك الليلة وقع الحادث.»
سكت.
«وماذا حدث له؟»

رفع عينيه إليّ.
«اختفى.»
«هل مات؟»
هز رأسه.
«لا نعرف.»
شعرت بصدمة.
«كل هذه السنوات... ولا تعرفون؟»
«لم نجد أي أثر له.»
سكتُ طويلاً.
ثم قلت:
«وأنت؟»
«ماذا عني؟»
«لماذا كنتَ معي؟»
ابتسم بحزن.
«لأنك طلبتَ مني أن أبقى.»
«ولماذا وثقتُ بك؟»
نظر إليّ.
«لأنني كنتُ الشخص الوحيد الذي لم يكن يعرف كل الحقيقة.»
توقفت.
«لكنك قلت إنك قرأت الرواية.»

«قرأت ما سمحت لي بقراءته.»
«وكان هناك جزء أخفيته؟»
أوماً.
«نعم.»
«أين؟»
أخرج من جيبه ورقة قديمة.
وضعها أمامي.
عرفت الخط قبل أن أقرأ.
كان خطي.
فتحتها.
«آدم، إذا كنت تقرأ هذه الصفحة، فهذا يعني أنني لم أستطع إخبارك
بنفسي.»
رفعت عيني إليه.
أكملت:
«الشخص الذي أبحث عنه ليس الخطر الوحيد.»
توقفت.
تابعت القراءة:
«الخطر الحقيقي هو الشخص الذي جعلني أظن أنني أستطيع الوثوق
به.»
شعرت ببرودة تسري في جسدي.
نظرت إلى آدم.

«من كان؟»
لم يجب.
«آدم.»
ظل صامتًا.
ثم قال:
«كنتَ تظنّين أنه أنا.»
توقفت أنفاسي.
«ماذا؟»
«قبل الحادث، شككتَ بي.»
حدقت فيه.
«ولهذا طلبتَ مني أن أنفذ الخطة.»
«أي خطة؟»
قال:
«أن أساعدك على الاختفاء... حتى من نفسك.»
بقيت صامتة.
ثم فهمت.
كل شيء.
الرواية.
الرسائل.
الهاتف.
المرأة.

الرجل الذي يشبهني.
الدفتر.
حتى خوفي منه.
لم تكن ليان القديمة تحاول فقط أن تخفي الحقيقة عن الآخرين.
كانت تخفيها عني أيضاً.
لكن سؤالاً واحداً بقي.
نظرت إلى آدم.
«إذا كنتُ أشك فيك... فلماذا أنت ما زلت هنا؟»
نظر إليّ طويلاً.
ثم قال:
«لأنك في آخر رسالة تركتها لي كتبت شيئاً واحداً.»
«ماذا؟»
أخرج الورقة الأخيرة.
ناولني إياها.
فتحتها.
وكان مكتوباً:
«إذا عدت يوماً، ولم أعرفك... فلا تحاول أن تجعلني أثق بك.»
توقفت.
ثم قرأت السطر الذي تحته:

«دعني أختارك من جديد.»
رفعت عينيَّ إليه.
ولم أعرف ماذا أقول.
لأنني للمرة الأولى...
لم أشعر أنني ألتقي بآدم الذي عرفتُه بعد الحادث.
شعرت أنني ألتقي بالرجل الذي اختارته ليان القديمة...
ثم تركت ليان الجديدة حرّة في أن تختاره مرة أخرى.

الفصل العشرون: الاختيار

«للمرة الأولى، لم أعد أبحث عمّن كنت... بل عمّن أريد أن أكون.»

بقيت أنظر إلى الورقة بين يديّ.

كانت الكلمات قليلة، لكنها حملت شيئًا لم أستطع تجاهله.

«دعني أختارك من جديد.»

أعدت قراءتها مرة أخرى.

ثم رفعت عينيّ نحو آدم.

كان واقفًا أمامي بصمت، وكأنه يعرف أنني وصلت إلى اللحظة التي كان

يخشها منذ البداية.

قلت:

«لماذا لم تخبرني بكل هذا؟»

أجاب بهدوء:

«لأنك طلبت مني ألا أفعل.»

«حتى بعد أن فقدت ذاكرتي؟»

«خصوصًا بعد أن فقدتها.»

سكت.

كنت أريد أن أغضب منه، لكن شيئًا في صوته جعل الغضب يتراجع.

قلت:

«كنتَ تستطيع أن تقول لي الحقيقة.»

هز رأسه.
«أي حقيقة؟ الحقيقة التي طلبت مني أن أخفيها عنك؟ أم الحقيقة التي
لم أكن متأكدًا أنك مستعدة لسماعها؟»
نظرت إليه طويلاً.
ثم قلت:
«وأنت؟ ماذا كنت تريد؟»
صمت.
«من كل هذا؟»
خفض عينيه للحظة، ثم قال:
«كنت أريدك أن تبقي بخير.»
«حتى لو كرهتك؟»
رفع عينيه إليّ.
«حتى لو كرهتني.»
كانت الإجابة بسيطة.
لكنها أصابت شيئاً عميقاً في داخلي.
لأول مرة، فهمت لماذا بقي.
لم يكن يحاول أن يجعلني أتذكره.
كان يحاول أن يحترم الشخص الذي كنت عليه قبل أن أفقد كل شيء.
جلست بهدوء.
«أريد أن أعرف ما حدث في تلك الليلة.»

لم يتردد هذه المرة.
جلس أمامي.
وقال:
«في تلك الليلة، كنت قد اكتشفت أن أخاك في خطر. كنت تملكين شيئاً
يمكن أن يثبت ما حدث، ولهذا قررت أن تهربي معه.»
«والرجل الذي يشبهني؟»
تغير وجهه قليلاً.
«لم يكن رجلاً غريباً.»
توقفت.
«ماذا تقصد؟»
قال:
«كان أخاك.»
شعرت أنني فقدت القدرة على الكلام.
الصورة.
الوجه.
الهاتف.
كل شيء بدأ يأخذ مكانه.
«لكنه كان يشبهني بشكل مخيف.»
«لأنكما كنتما متشابهين جداً.»
سكتُ.

ثم سألت:
«وماذا حدث بعد ذلك؟»
أجاب:
«وصلتم إلى المحطة. كنتَ تظنين أنكما نجوتما.»
توقف.
«لكن شخصاً كان يتبعكما.»
«من؟»
نظر إليّ.
«الشخص الذي كنتَ تشكين بي من أجله.»
تجمدت.
«هل كان...»
«نعم.»
«هو الذي تسبب بالحادث؟»
أوماً.
«لكنني لم أعرف ذلك إلا بعد فوات الأوان.»
وضعت يدي على فمي.
بدأت الصورة في رأسي تصبح أوضح.
لم تكن ذكريات كاملة.
كانت ومضات.
محطة.
ضوء.

يد تمسك بيدي.
وصوتي وأنا أقول:
«لا تدعه يجدنا.»
أغمضت عيني.
ثم فتحتها بسرعة.
«آدم...»
«ماذا؟»
«أنا أتذكر شيئاً.»
تغير وجهه.
«ماذا تذكرت؟»
نظرت إليه.
«لم أكن أهرب لأحمي نفسي.»
سكت.
«كنت أهرب لأحميه.»
أوماً ببطء.
«نعم.»
شعرت بالدموع تقترب من عيني.
ليس لأنني كنت حزينة.
بل لأنني أخيراً بدأت أفهم الفتاة التي كنتها.
لم تكن ليان القديمة ضعيفة.
ولم تكن تريد أن تختفي.

كانت فقط خائفة من أن تخسر شخصًا تحاول حمايته.
قلت:
«وماذا حدث لأخي؟»
ساد الصمت.
ثم قال آدم:
«بعد الحادث، لم نجد جثته.»
توقفت أنفاسي.
«إذن...»
«لا أعرف إن كان حيًا.»
نظرت إليه.
ولأول مرة، لم أشعر أنني بحاجة إلى المزيد من الأجوبة.
كان هناك شيء واحد فقط أعرفه.
أنني لم أعد أريد أن أعيش أسيرة لما حدث.
وضعت الورقة على الطاولة.
ثم قلت:
«كنتَ تقول إنني يجب أن أختارك من جديد.»
نظر إليّ.
«نعم.»
ابتسمت ابتسامة صغيرة.
«إذن لا تخف.»
بقي ينظر إليّ.

قلت:

«أنا لا أختار الشخص الذي كانت ليان القديمة تثق به.»

توقفت لحظة.

«أنا أختار آدم الذي عرفته أنا.»

لم يقل شيئاً.

لكنني رأيت الراحة في عينيه.

وفي تلك اللحظة، أدركت أن بعض الأشياء لا تحتاج إلى ذاكرة كي تكون

حقيقية.

يكفي أن نشعر بها مرة أخرى.

أما الماضي...

فقد حان الوقت أن نضعه في مكانه.

خلفنا.

لا أمامنا.

الفصل الحادي والعشرون: ما حدث في تلك الليلة
«بعض الذكريات لا تعود لتؤلمنا... بل لتضع أخيراً كل شيء في مكانه.»
في اليوم التالي، عدتُ إلى المحطة القديمة.
لم أكن أعرف لماذا اخترت هذا المكان تحديداً، لكنني شعرت أنني بحاجة
إلى أن أراه مرة أخرى.
ربما لأنني قضيت هنا آخر لحظات حياتي القديمة.
وربما لأنني أردت أن أرى المكان بعين ليان الجديدة.
كان آدم يسير بجانبني بصمت.
لم أسأله شيئاً في الطريق.
ولم يسألني هو إن كنتُ خائفة.
عندما وصلنا، توقفتُ أمام الرصيف القديم.
نظرتُ إلى المكان طويلاً.
ثم شعرت بشيء يتحرك في رأسي.
لم تكن ذكرى كاملة.
مجرد أصوات.
خطوات سريعة.
صوت أخي.
وصوتي.
«علينا أن نذهب الآن.»
ثم صوت آخر.

صوت لم أستطع تمييزه.
«لن تذهبي إلى أي مكان.»
وضعت يدي على رأسي.
اقترب آدم مني.
«ليان؟»
أغمضت عيني.
بدأت الصور تتضح.
كنت أركض.
أخي كان بجانبني.
وكانت يدي تمسك بيده.
كنت أحاول إخراجه من المكان.
ثم ظهر رجل أمامنا.
لم أرَ وجهه.
لكنني تذكرت شيئًا.
كان هو الشخص الذي كنت أخاف منه.
قلت بصوت خافت:
«كان هنا.»
نظر إليَّ آدم.
«من؟»
«الرجل الذي كنت أخشاه.»
سكت.

ثم قلت:
«وأنت وصلت بعده.»
أوماً.
«نعم.»
«ماذا حدث؟»
تنهد.
«وصلتُ عندما كنتما تحاولان المغادرة.»
نظرت إليه.
«وماذا رأيت؟»
«رأيت الرجل يقترب منكما.»
توقفت.
«ثم؟»
«حاولتُ إيقافه.»
بدأت أتذكر.
صوتاً مرتفعاً.
باباً يُغلق.
ضوءاً قوياً.
ثم...
لا شيء.
فتحت عينيّ.
«الحادث لم يكن بسببنا.»

قال آدم:

«لا.»

«كان هو السبب؟»

أوماً.

«نعم.»

ساد الصمت.

نظرت إلى المكان الذي وقفت فيه السيارة في الصورة.

«وماذا حدث لأخي؟»

لم يجب فوراً.

ثم قال:

«بعد الحادث، وصلت الشرطة. وجدوني فاقدة للوعي، لكن أخاك لم يكن

هناك.»

«هل بحثتم عنه؟»

«بحثنا طويلاً.»

«ولم تجدوه؟»

هز رأسه.

«ولا أثر.»

شعرت بغصة في صدري.

لكنني هذه المرة لم أشعر بالخوف.

فقط شعرت بأنني أريد أن أعرف.

قلت:

«والرواية؟»
نظر إليّ.
«ماذا عنها؟»
«كنت أكتب كل شيء فيها.»
«نعم.»
«ثم أحرقتها.»
«لأنك اكتشفت أن شخصاً قرأ جزءاً منها.»
نظرت إلى الأرض.
«ولهذا وضعت الخطة.»
«نعم.»
«حتى أنسى أنا نفسي.»
سكت آدم.
ثم قال:
«كنت تعتقد أن النسيان سيكون أسهل من أن تعيشي وأنت تعرفين أن
شخصاً يراقبك.»
رفعت عينيّ إليه.
«وهل كان قراراً صحيحاً؟»
نظر إليّ طويلاً.
«لا أعرف.»
ابتسمت بحزن.
«وأنا أيضاً لا أعرف.»

ثم نظرت إلى المحطة مرة أخرى.
للمرة الأولى، لم أرَ فيها المكان الذي فقدت فيه ذاكرتي.
رأيت المكان الذي بدأت فيه حياتي من جديد.
قلت:
«أريد أن أعرف شيئًا واحدًا.»
«ما هو؟»
«هل تعتقد أن أخي حي؟»
سكت.
ثم قال:
«لا أملك دليلاً على أنه مات.»
نظرت إليه.
«إذن سأترك هذا السؤال مفتوحًا.»
«لن تبحثي عنه؟»
هززت رأسي.
«ليس الآن.»
نظر إليّ باستغراب.
«لماذا؟»
ابتسمت.
«لأنني تعبت من مطاردة كل شيء فقدته.»
سكتُ لحظة.
ثم أضفت:

«إذا كان حيًّا، سأجده يومًا.»
نظرت إلى السماء.
«لكن هذه المرة، لن أضيّع نفسي وأنا أبحث عنه.»
بقي آدم إلى جانبي.
ولم يقل شيئًا.
لم أكن بحاجة إلى أن يقول.
كنت قد فهمت أخيرًا.
أن الماضي لا يصبح أقل أهمية عندما نتركه خلفنا.
لكنه يتوقف عن التحكم بنا.
وأنا...
كنت مستعدة لذلك.
عدت إلى المنزل تلك الليلة.
فتحت الدفتر للمرة الأولى.
لم أقرأ كل الصفحات.
اكتفيت بالصفحة الأولى.
كانت الجملة ما تزال هناك:
«إلى ليان التي ستأتي بعدي...»
ابتسمت.
ثم قلت بصوت خافت:
«وصلت.»
وأغلقت الدفتر.

هذه المرة...
لم أكن أخاف مما بداخله.

الفصل الثاني والعشرون: ليان
«لم أستعد ذاكرتي كاملة، لكنني استعدت شيئاً أهم... أستعدت نفسي.»
مرت أسابيع منذ عدتُ إلى المحطة.
لم يحدث شيء كبير بعدها.
لا رسائل مجهولة.
لا هواتف تظهر من العدم.
ولا وجوه غريبة تلاحقني في الأماكن التي أحبها.
لأول مرة منذ استيقظت في المستشفى، كان الهدوء حقيقياً.
كنت أعيش يومي دون أن أنتظر شيئاً من الماضي.
استيقظ، أتناول فطوري مع أمي، أذهب إلى المكتبة أحياناً، وأعود إلى
الكتابة كلما شعرت أن الكلمات تريد أن تخرج مني.
وفي إحدى الأمسيات، جلست أمام دفتري.
فتحته.
كانت الصفحة الأولى فارغة.
ابتسمت.
ثم كتبت:
«لا أعرف كيف كانت ليان القديمة ستكتب هذه القصة.»
توقفت قليلاً.

ثم أكملت:
«لكنني أعرف كيف سأكتبها أنا.»
نظرت إلى الكلمات.
لم أشعر بالخوف.
ولم أشعر بالحزن.
شعرت بالراحة.
دخلت أُمي الغرفة.
نظرت إلى الدفتر.
ثم إليّ.
قالت:
«تكتبين؟»
ابتسمت.
«نعم.»
اقتربت وجلست بجانبِي.
«عن ماذا؟»
نظرت إلى الصفحة.
«عن فتاة فقدت جزءاً من حياتها.»
سكتُ لحظة.
ثم قلت:
«لكنها لم تفقد نفسها.»
ابتسمت أُمي.

وضعت يدها على يدي.
لم تقل شيئاً.
لم تكن بحاجة إلى ذلك.
بعد قليل، رن جرس الباب.
عرفت الصوت قبل أن أسمعه.
آدم.
دخل.
نظر إلى الدفتر أمامي.
ثم قال:
«بدأت؟»
«نعم.»
«وهل كتبت عني؟»
رفعت حاجبي.
«لماذا؟ هل تظن أنك مهم إلى هذه الدرجة؟»
ضحك.
«كنت فقط أسأل.»
أغلقت الدفتر.
«ربما أكتب عن شخص كان يزعجني كثيراً.»
«شخص سيئ؟»
ابتسمت.
«جداً.»

جلس أمامي.
وبقي ينظر إليّ للحظات.
ثم قال:
«هل تتذكرين شيئاً جديداً؟»
فكرت.
ثم هزرت رأسي.
«لا.»
ابتسم.
«لا بأس.»
نظرت إليه.
«لماذا تقولها وكأنك كنت تنتظر هذه الإجابة؟»
قال:
«لأنني لم أعد أنتظر منك أن تتذكري.»
توقفت.
«ماذا تنتظر إذن؟»
نظر إليّ.
«أن تعيشي.»
ابتسمت.
كانت هذه الكلمة أبسط من كل الأسرار التي عرفتھا.
وأصدق منها.
في تلك الليلة، جلست وحدي أمام النافذة.

نظرت إلى الشارع.
إلى الأضواء.
إلى الناس الذين يمشون دون أن يعرفوا شيئاً عن قصتي.
وفكرت في ليان القديمة.
في الفتاة التي خافت.
وفي الفتاة التي كتبت.
وفي الفتاة التي قررت أن تنسى.
لم أعد أكرهها.
ولم أعد أبحث عنها.
فهمتها.
كانت تفعل ما استطاعت لتحميني.
وأنا الآن...
سأفعل الشيء نفسه.
لكن بطريقتي.
أغلقت الدفتر.
ثم كتبت في الصفحة الأخيرة:
«ربما لم أستعد كل ما فقدته.»
«وربما ستعود بعض الذكريات يوماً، وربما لن تعود.»
«لكنني لم أعد أخاف من ذلك.»
«لأنني عرفت أخيراً أن الإنسان لا يصبح شخصاً جديداً

عندما ينسى ماضيه...»
توقفت.
ثم كتبت:
«بل عندما يقرر ألا يسمح لماضيه بأن يكتب مستقبله.»
أغلقت الدفتر.
وضعت يدي فوقه.
وابتسمت.
أنا ليان.
لست ليان التي يتذكرها الجميع.
ولست الفتاة التي كانت تخاف من الحقيقة.
أنا ليان التي استيقظت من جديد.
التي اختارت أن تعيش.
والتي عرفت أن بعض الأبواب يجب أن تفتح...
وبعضها يكفي أن نعرف أنها كانت موجودة.
أما الباقي؟
فسأتركه خلفي.
وأمضي.
هذه المرة...
دون أن أبحث عن نفسي.
لأنني وجدتها.

الفصل الثالث والعشرون: حين اخترته من جديد
«لم أستعد ذاكرتي كلها... لكنني استعدت الرجل الذي كان فيها.»
مرت أشهر.
أصبحت حياتي أكثر هدوءًا، وأكثر شبهًا بي.
بعض الذكريات عادت.
تفاصيل صغيرة.
أماكن.
ضحكات.
روائح.
وجوه.
لكنني لم أعد أركض خلفها.
كنت أتركها تأتي عندما تريد.
أما آدم، فبقي كما كان.
لم يحاول يومًا أن يجعلني أتذكره.
لم يقل لي: «كنت تحبيني.»
ولم يسألني: «أما زلت تحبيني؟»
ترك لي المساحة التي طلبتها منه قبل أن أفقد كل شيء.
وفي يوم هادئ، كنا نجلس في المكان نفسه الذي بدأت فيه أشياء كثيرة.
المقهى الصغير.

الطاولة القريبة من النافذة.
والشارع الذي كنت أشعر أنه مألوف قبل أن أعرف لماذا.
نظر إليّ آدم.
ثم قال:
«هل تذكرين شيئاً؟»
ابتسمت.
«نعم.»
اتسعت عيناه قليلاً.
«ماذا؟»
نظرت إليه.
«أتذكر لماذا اخترتك.»
ساد الصمت.
لم يعرف ماذا يقول.
ضحكت.
«لا تقلق، لن أخبرك.»
«لماذا؟»
«لأنني أريد أن أختارك مرة ثانية دون أن أعرف السبب.»
ابتسم.
ثم أخرج شيئاً صغيراً من جيبه.
وضعه أمامي.
كان مفتاحاً.

نظرت إليه باستغراب.
«ما هذا؟»
قال:
«شيء أريدك أن تختاريه بنفسك.»
«ماذا تقصد؟»
أشار إلى المفتاح.
«بيت.»
توقفت.
«بيت؟»
«بيتنا.»
نظرت إليه طويلاً.
لم أجد في عينيه خوفاً.
ولا تردداً.
فقط انتظار.
لم يكن يطلب مني أن أكون ليان القديمة.
كان يطلب مني أن أبدأ معه حياة جديدة.
أمسكت المفتاح.
وقلت:
«سأختارك.»
ابتسم.
«متأكدة؟»

هزرت رأسي.
«هذه المرة، أنا متأكدة.»
لم يكن يوم زفافنا كبيرًا كما تخيلت دائمًا.
كان بسيطًا.
هادئًا.
يشبهنا.
وقفت أمام المرأة قبل أن أخرج.
نظرت إلى نفسي.
ثم ابتسمت.
لم أسأل:
كيف كانت ليان القديمة ستبدو اليوم؟
لم أسأل:
هل كانت ستختار هذا الفستان؟
هل كانت ستفرح؟
هل كانت ستبكي؟
لأول مرة...
لم أحتاج إلى أن أعرف.
كنت أنا.
وهذا كان كافيًا.
عندما وصلت إلى آدم، نظر إليّ طويلًا.
ثم ابتسم.

قال:
«تبدین كأنك تدرين إلى أين تذهبين.»
ضحكت.
«لأول مرة، أعرف.»
مد يده.
وضعت يدي في يده.
كانت يده مألوفة.
لكنها هذه المرة لم توقظ ذكرى.
بل صنعت واحدة.
بعد انتهاء كل شيء، جلسنا وحدنا للحظات.
نظرت إليه.
«آدم.»
«نعم؟»
«هل تعتقد أن ليان القديمة كانت ستوافق؟»
ابتسم.
«لا أعرف.»
«وأنت؟»
نظر إلى يدي التي كانت في يده.
«أنا لا أريد موافقتها.»
رفعت عيني إليه.
«لماذا؟»

قال:

«لأنني اخترتك أنت.»

ابتسمت.

وفهمت شيئًا لم أفهمه طوال تلك الأشهر.

الحب ليس أن يحبك شخصٌ لأنه يعرف نسختك القديمة.

الحب أن يعرف من أصبحت...

ثم يختارك أيضًا.

وفي تلك الليلة، عندما عدنا إلى بيتنا، وضعت المفتاح على الطاولة.

نظرت إليه.

ثم قلت:

«غريب.»

«ماذا؟»

«كل هذه السنوات كنت أبحث عن المفتاح الذي يفتح الماضي.»

نظر إليّ.

«والآن؟»

ابتسمت.

«وجدت المفتاح الذي يفتح المستقبل.»

ضحك.

ثم قال:
«وهل أنت مستعدة؟»
نظرت إلى البيت.
إلى يده.
إلى حياتي التي لم تعد تشبه حياة شخص آخر.
وقلت:
«أنا لا أعرف ماذا ينتظرني.»
توقفت.
ثم ابتسمت.
«لكنني أعرف مع من سأكتشفه.»
في تلك الليلة، فتحت الدفتر للمرة الأخيرة.
كانت الصفحات القديمة مليئة بأشياء لم تعد تخيفني.
قرأت آخر ما كتبه ليان القديمة.
«إذا وصلت إلى النهاية، فلا تعودني إلي.»
توقفت.
ثم قرأت:
«لقد فعلت ما استطعت لأحميك.»
ابتسمت.
«والآن جاء دورك.»
أغلقت الدفتر.
وضعت عليه يدي.

ثم همست:
«شكرًا.»
لم أكن أشكر الماضي.
كنت أشكر الفتاة التي كنتها.
لأنها، رغم خوفها، تركت لي فرصة لأعيش.
وضعت الدفتر في درج بعيد.
ولم أشعر بالحاجة إلى إخفائه.
فبعض الأسرار لا تحتاج إلى أن تدفن.
يكفي أن نتوقف عن الخوف منها.
نظرت إلى آدم.
كان ينتظرني عند الباب.
ابتسمت.
ذهبت إليه.
وأغلقت الباب خلفي.
هذه المرة...
لم أغلق بابًا على الماضي.
بل فتحت بابًا على حياتي.
أنا ليان.
والآن...
لست بحاجة إلى أن أتذكر من كنت.
يكفيني أن أعرف من اخترت أن أكون.

اخترت أن أعيش.
اخترت أن أحب.
واخترت آدم.
ليس لأن ليان القديمة اختارته.
بل لأن ليان التي أصبحت...
اختارته من جديد.

الخاتمة

ربما لا تأتي الحياة دائماً بالطريقة التي تمنّاها قلبك، وربما تأخذ منك أشياء ظننت أنك لا تستطيع العيش دونها.

لكن لا تجعل ما فقدته يعرفك.

لا تركض خلف ماضٍ انتهى فقط لأنك تخاف من المستقبل، ولا تحاول أن تعود إلى الشخص الذي كنت عليه لمجرد أن الآخرين أحبّوا نسختك القديمة.

القديمة.

تغيّر.

ابدأ من جديد.

سامح نفسك على القرارات التي اتخذتها حين لم تكن تعرف أكثر، ولا تخف من أن تختار نفسك حين يصبح بقاؤك في المكان نفسه يؤذيك.

وتذكر دائماً:

ليس كل ما ننساه يستحق أن نتذكره، وليس كل ما نفقده خسارة.

أحياناً، يكون فقدان الطريق هو الطريقة الوحيدة التي تقودنا إلى أنفسنا.

فإن وجدت نفسك يوماً تائهاً بين ما كنت، وما يريدك الآخرون أن تكون...

اختر أن تكون أنت.

لأن أجمل بداية، هي أن تجد نفسك من جديد.
— شهد هيثم الشقوف

